

يتخيلون
هُناك
إبراهيم عباس

متوفر باللغة الإنجليزية.

كنت أحيا حياة عادية.. مثلك تماماً.

أحلامي تبقى أحلاماً.. لا تتحقق..

وفجأة وجدت نفسي هُناك..

منغمساً بجوارحي في أعماق أحلامي..

أعيشها بكامل تفاصيلها.. واحداً تلو الآخر..

يستحيل أن يكون كل هذا مجرد حلم أو وهم..

فأنا لم أشعر باليقظة من قبل كما شعرت بها هُناك..

لم يتبق لي الآن سوى حلم واحد فقط..

أن أعود إلى حياتي المتواضعة..

أن أعود من هُناك..



٤٥ ر.س. 11.99 USD - 9.99 EUR - 7.99 GBP

ISBN 9789948205807

51199 >

9 789948 205807

إبراهيم عباس

هُناك

إبراهيم عباس

@ibraheem_abbas

يتخيلون
The League of Arabic SciFiers

ISBN: 9789948205807

Available in English متوفرة باللغة الإنجليزية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عباس، إبراهيم

هُناك. /إبراهيم عباس، - جدة، ١٤٣٥هـ

٣١٤ ص؛ ٢٠سم

ردمك: ٨-٥٤٨٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص العربية – السعودية أ. العنوان

ديوي ٨١٣,٠٣٩٥٣١ ١٤٣٥/٥٦٦٥

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٥٦٦٥

ردمك: ٨-٥٤٨٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

إبراهيم عباس.. مبدع إعلاني، وكاتب سينمائي، شارك المهندس ياسر بهجت في تأسيس رابطة يتخيلون التي تهدف إلى نشر ثقافة الخيال العلمي العربي وإثراء محتواها ومخرجاتها والارتقاء بها بشكل يؤهلها للتنافسية العالمية.

www.يتخيلون.com

info@يتخيلون.com @yatakhayaloon www.هناك.com

إلى كل من أكرمني بقراءة رواية حوجن..

أنا مدين لك..

ومن أجلك كتبت رواية هُناك!

قبل أن تسألوني..

روايتي السابقة بطلها جني شاب في بدايات التسعين من عمره، محترف في استخدام الآيپاد ويهوى قيادة اللامبورغيني؛ ومع ذلك انهالت علي التساؤلات إن كانت القصة حقيقية. هذا السؤال بالذات هو أكثر سؤال يسعدني! وقبل أن تسألوني عن رواية هُناك اسمحوا لي أن أجيب مسبقاً:

نعم! أعترف أن هذه القصّة حقيقية إلى حد كبير جداً..

وأنني قد استلهمت جميع تفاصيلها من بطلتها مباشرة..

ومن العالم الذي صنعته لي بحبّها، وأشرفت عليه بقلبها..

وهذه ليست سوى محاولة مني لصياغتها على الورق..!

إبراهيم،،

على عُجالة..

أعترف أنني أكتب بكل تلقائية، هدفي الأهم هو إمتاعكم، مع العشم بأن تحمل سطوري بعض الفائدة؛ أكتب بأسلوب تصويري يمزج بين الرواية الكلاسيكية والنص السينمائي، وبالتالي فإن الحدث عندي أهم من الحديث، لا أتخمه بزيادة التوصيف، ولا أتركه عُرضة للجفاف والهُزال، فالخيال مناصفة بين وجدانكم والأحداث التي أبذل ما بوسعي لتندمجوا مع تفاصيلها كما هي؛ أنقل ما قيل كما قيل دون أن أتدخل بدبلجة. بطل القصة هو المتحدث، لا أجرؤ على مصادرة أسلوبه ولهجته وانفعالاته وإعادة صياغتها بطريقتي أنا، لأني وببساطة لا أريدكم أن تكتفوا بقراءة الكلمات دون أن تشاهدوا الحدث وتعايشوا التجربة.

لذا أقدم اعتذاري المسبق إلى كل من قد يتفاجأ بوجود عبارات بلهجات أصحابها الدارجة بين السرد الذي أحرص أن يكون بالقرشية (الفصحى)، وإلى كل من قد يجد في روايتي اختلافاً عمّا اعتاد عليه من أعمال أدبية هدفها الأساس هو التفنن في الصياغة اللغوية، وأنها عبارة عن تجربة تصويرية تهتم بتبسيط العبارات كي تتضح المشاهد.

والآن.. اسمحوا لي بأن أترككم مع تجربة.. هُناك..!

إبراهيم عباس

(1)

أنا ؟! هُنا ؟!

وأخيراً.. قلم!

قلم غريب عجيب، ككل شئ رأيته هنا، قطعة مصمتة منحوتة بنقوش متداخلة في منتهى الدقة والروعة تستمر بنفس النسق على رأسه المعدني، ترسم ألف لوحة في طرفه المدبب بالزخارف الذهبية والبرونزية..

قلم يغري الأنامل بالكتابة، حبره يغازل الورق، ينساب بالعبارات وكأنه يعرفها مسبقاً، يكاد ينطق بالكلمات قبل أن يكتبها.

طلبته منها فأحضرته لي على الفور..

سأخبركم عنها، لا تستعجلوا..

ولكن الآن لا بد أن أكتب..

لا بد أن أتذكر..

ولكي أتذكر يجب أن أدون كل شئ!

حسنٌ، لا أعلم إن كانت كلماتي هذه ستجد من يقرؤها، لا أعلم إن كنت سأتذكرها بعد كتابتها، ولكن يجب أن أدون كل شئ يحصل لي منذ اللحظة التي وجدت نفسي فيها هنا، اللحظة التي لا أستطيع تذكر أي شئ قبلها!

فتحت عيني فرأيت سقف الغرفة الذي يرتفع لمسافة عشرة أمتار على الأقل، ومقعّر مكوناً قبة كريستالية شفافة عليها رسوم عجيبة، لولا الرسوم لما عرفت أن هناك قبة أصلاً، ليست قبة واحدة وإنما مجموعة من القباب المتمازجة، أستطيع تمييز القبة الرئيسية في المنتصف، بالإضافة إلى ثلاث أو أربع قباب أخرى متباينة. تتدلى من القباب خيوط رفيعة جداً تنتهي بكرات متلألئة تضئ الغرفة بضوء سحابي خافت. تتأرجح بدلال بسبب تيارات الهواء التي تداعبها. أستطيع أن أرى السماء من خلف تلك الكريستالات الكروية العملاقة، لون أزرق صافٍ، لا تقاطعه سوى بعض السحابات القطنية التي تسبح فوقها بكل تكاسل والعصافير التي تتراقص قليلاً في الهواء قبل أن تأخذ استراحتها على أطرافها.

لا أعلم كم ظللت على هذه الحال، دقائق؟ ساعات؟ كانت عضلاتي جميعها في حالة استرخاء لذيذ؛ وعيني مفتوحة، تحاول استيعاب جمال ذلك السقف، بينما يحاول عقلي استيعاب الوضع، بلا جدوى! أعتصر كل خلية في دماغي لأتذكر أي شئ، بلا فائدة! من أنا؟ ما اسمي؟ من أين أتيت؟ ما الذي أتى بي إلى هنا؟ ما هو هذا المكان أصلاً؟

فشلَت جميع محاولاتي للتذكر فقررت أن أرغم عضلاتي على النهوض.. كنت متمرغاً في سرير أبيض بملمس مخملي ناعم، يتشكل حول جسمي دون أن أشعر به، يحتويني كأنه قالب من القشطة، لم يكن هناك سوى ذلك السرير في وسط الغرفة، تلفتّ حولي، هذه ليست غرفة وإنما.. ساحة.. ساحة دائرية شاسعة، قطرها لا يقل عن عشرين متراً.

تذكرت! أين نظارتي؟!.. نظري أضعف من أن يتجاوز مترين أمامي! تحسست حولي باحثاً عنها، تحسست وجهي فلربما أجدها مختبئةً على أنفي كعادتها..

ولكن انتظروا لحظة..! كيف استطعت رؤية كل شئ بوضوح؟ أنا بدون النظارة شبه كفيف!

وقفت على الأرض، شعرت ببرودة خفيفة تسري إلى جسدي عبر أقدامي ولاحظت شيئاً عجيباً، الأرض تبدو بعيدة عني.. أو.. لا لا مستحيل! أظن أنني أطول قامةً..! لا أذكر أنني بهذا الطول أبداً! طولي لا يتجاوز متراً وخمسة وستين.. تشمل حذائي السميك وشعري المنكوش!.. ووزني يتجاوز الـ.. رفعت طرف القميص الأبيض الذي لا أعلم من أين أتى هو الآخر لألقي نظرةً على كرشي التي اعتادت أن تحجب عني رؤية أقدامي فيما عدا أطراف أصابعي.. و.. يا إلهي!! لقد تحولت كرشتي الرَجراجة إلي ستة مربعات أنيقة مشدودة تزينها صرة أستطيع رؤيتها بدل تلك الهوة التي لا أذكر أنني رأيت قاعها يوماً. تحسست جسمي، أكتافي صدري عضلاتي، من أين لي كل هذا؟!

كنت أشعر بخفة عجيبة، أعتقد أنني ظلمت الجاذبية الأرضية طوال حياتي، اكتشفت أن كرشي هي التي كانت تشفطني بقسوة للأسفل!

مـشيت عـلى الأرض، بيـضاء ملـسـاء باردة قليلاً، ما هو مـصدر تـيارات الـهواء؟ هل هـناك فتـحات تبـريد؟ ولـكن لا أثر لـهدير أجهزة التكييف، في الـواقع الأصوات الـوحيدة التي أسمعها هـي أنفـاسي و.. نـعم بالـكاد أسمع أصوات المدينة.. لا ليست كالتي اعتدت عليها: سيارات وزحام وضوضاء؛ فقط أصوات مجموعة من الـناس، رجال ونـساء وأطفال تأتي من بعيد، قاطعها صوت مـوسيقى، سلبتني من قـمة الدهـشة إلى قـمة الانـسجام، انبعثت قي الغرفة بكل هدوء وفاحت مع الأنغام رائحة عطرية سيطرت على توتري وأرغمتني على إغلاق عيني وشفط جرعة من الهواء في نَفَس عميق أنعش رئتَي. اتجهت نـحو الـحائط الدائري الذي زينـته الـستائر، لاحـظت تـحرك بعـضها، من هـنا تتـسلل تـيارات الـهواء إذاً! لا بد وأن خلفـها باب! كيف أفتح هذه الـستائر؟ أين الأزرار والمفاتـيح؟ سحقاً! لـماذا لا   أجد أي كتيـبات   إرشادية للتعـامل مع الأشياء هـنا؟ اضطررت لأن أستخدم أكثر الحـلول بدائـية، فرفـعت الـستارة ومررت من تحتـها و... آه ما   هذا؟ اكتشفت أن الغرفة متصلة بشرفة بنفس مساحتها تقريباً، تظللها بعض الشجيرات المتسلقة المزيّنة بأزهار تتنافس بجاملها وألوانها وروائحها، أنستني العطر الذي أسكرني قبل قليل.

الـشرفة معلـقة عـلى قـاعدة كريـستالية شفافة، لولا المقـعدان والطاولة في طرفها لظننت أنها بلا أرضية. وضعت قدمي الأولى بحذر خشية الـوقوع، وشجّعَت قدمي الأولى أختها، نظرت حولي، كنت على ارتـفاع شاهق، بالـكاد أستطيع تمييز تفـاصيل الأرض من تـحتي والـناس يمشون عليها كالنمل؛ نـظرت خلفي لأرى هذا المبنى الذي وجدت نفسي فيه لعلي أجد أي علامة أو لوحة، كان عبارة عن برج مغطى بالكامل بزجاج أملس بدون أي فواصل أو نوافذ، تحفة كريستالية عملاقة تنتهي بقبة شفافة هائلة الحجم أستطيع رؤية الأ جواء الاصطنـاعية بداخلها: أشـجـار، أزهـار، مـباني، كأنـها مدينـة مـصغرة معلـقة في الـسماء؛ وحول البرج الرئيسي تناثرت أبراج أخرى أقصر تنتهي بقباب أصغر مثل التي وجدت نفسي فيها؛ قاعدة هذه الأبراج عبارة عن حديقة منسقة بـشكل رائع تتخـلل وشاحها الأخـضر المـرصّع بالأ زهـار الملـونة طرقات للمشاة ومبانٍ صغيرة متناثرة وثلاثة ممرات مائية عليها بعض الزوارق؛ تصب في خليج ممتد في الأفق الذي ارتصت من خلفه أبنية مدينة هائلة، أشبه بإحدى مدن المستقبل في روايات الخيال العلمي.

الآن تـأكدت أنـني ﰲ حـلم واضح! كـنت متيقـناً أن توغلي ﰲ مـواضيع الإسـقاط النجـمي والأحلام الجلـيّة سيؤثر يـوماً عـلى دماغي، وهـأنذا محـبوس ﰲ أحدها! سـوف أستيقظ بـعد قلـيل ويزول كل هذا.. لا بد أن أستيقظ! حاولت جاهداً أن أفتح عيني، أحملق بهما بكل قوة لأستيقظ.. قرصت نفسي.. عضضت يدي وفجأة..

طُرق الباب..

سمعت طرقات رقيقة وصوت فتاة أرقّ:

"تسمح لي أدخل؟!"

ارتبكتُ جداً.. لاأذكر أي علاقات تربطني بالجنس اللطيف سوى بـعض العـبارات الـسطحيّة الـعابرة عـلى الإنترنت.. تذكرت! لـقد كـنت مـيالاً لـلانـطواء، خجـلي يتـضاعف من فرط بدانتي وقـلة وسـامتي، ولكن لا داعي للخجل هنا، كل شئ اختلف! إنـني أعيش الآن ﰲ داخل حلم.. مجرد حلم! وسـوف أستغلّه قبل أن يستقيظ صاحب الـكرش الرَجـراجة! استغرقَت أفـكاري وقـتاً أكثر من اللازم فعادت الطرقات وهـرعت إلى الغرفة أبحث عن الباب ﰲ الجهة المقابلة للستائر؛ سحقـاً لهذا الجدار المصمت المستفز!

لا أثر فيه لباب ولا أكرة ولا حتى ثقب مفتاح؛ عادت الفتاة تستأذنني فارتبكت أكثر، وقررت أن أسمح لها بالدخول وعليها أن تتصرف هي لإيجاد الباب فقلت بجديّة مصطنعة وفردت قامتي وشفطت كرشي لا شعورياً وأنا أقف أمام الجدار:

"تفضلي..!"

ارتفع جزء في الجهة الأخرى من جدار الغرفة بهدوء، فبدوت كالأبله وأنا أقف بحزم أمام الحائط المقابل الذي خمّنت أنه الباب؛ التفتّ إلى ذلك الجزء وإذا بها مندفعة نحوي تهتف بلهفة:

"حسام.. حسام!! ما تتخيل قد إيش وحشتني!!"

حسام؟.. حسام!!! صحيح تذكرت!! اسمي حسام..! فاجأتني بتعلقها برقبتي واحتضانها لي بقوة وانهمار دموعها التي انسابت بين خدها وخدي، لم أتحمل المفاجأة.. طبعاً لم أتحملها! أعترف أنني قد أصاب بنوبة اضطراب عاطفي مصحوبة بتلبك معوي وشلل مؤقت لو ابتسمت لي فتاة عادية وقالت "كيف حالك"؛ ما بالكم بإنسانة تحتضنني وتقول "وحشتني وحشتني"؟!

إنسانة؟ يستحيل أن تكون هذه المخلوقة إنسانة أصلاً ! تتصلت من حضنها وأنا أتمزق حسرةً وخجلا، رأيتها أمامي بوضوح.. لم تبعد وجهها كثيراً عني، سنتيميترات قليلة تفصل بين ذهولي وابتسامتها، تلك المسافة الضئيلة لا تكفي العين في العادة للتركيز وتمييز الملامح، ولكن جمالها تحدّى جميع القوانين البصرية، رأيتها بكل وضوح، عيناها ملأتا أفقي، تسخران من زرقة البحر وسعته وأعماقه، مرآتان للسماء، ولي.. ميّزت صورتي المنعكسة فيهما، شعرت من نظرتها المتلهفة أن صورتي تلك ليست مجرد انعكاس، شعرت أنها تحملني في عينيها أينما ذهبت، كلما فتحتهما، وكلما أغمضتهما. إن استرسلت في وصفها فلن أكمل كتابة قصتي أبداً! باختصار جمالها يتجاوز جمال أجمل مخلوقة رأيتها أو تخيلتها في حياتي! لو بحث أحد عن أسرار الجمال فستفضحها ابتسامتها، ولو سأل عن معنى الأنوثة فسيكون قوامها الإجابة النموذجية!

لم تخفِ ضيقها من تنصلي.. ولكنها احتفظت بابتسامتها المرحة ومسحت دمعتها برسغها بشكل طفولي وألقت بنفسها على السرير فغاصت فيه قبل أن يتبعها ثوبها الحريري الأبيض الذي هبط عليها ببطء وتطلّعت للسقف وهي تقول بسعادة:

"طول عمري يا حسام بأحلم بهذي اللحظة! إني أشوفك قدامي.. أكلمك.. أحضنك!"

ما هذه الفتاة المبتذلة؟ مع احترامي الشديد لجمالها الذي لا يختلف عليه اثنان، كيف تدخل غرفة شاب بمفرده، لا تعرفه ولا يعرفها؟ وتحضنه! وترتمي على سريره!! ناهيك عن سفورها وتبرجها وملابسها!

لحظة لحظة.. من قال أنها لا تعرفني؟ لقد نادتني باسمي، في الواقع لم أتذكر اسمي إلا منها! استجمعت شجاعتي الكاذبة وصرامتي المصطنعة وأنا أقول:

"واضح إني فقدت ذاكرتي، وإنك تعرفي أشياء كثيرة عني وعن هذا المكان.. ممكن لو سمحتِ توضحي لي؟"

"لا يا شيخ؟! عامل لي فيها الرَّجُل الحِمِش!"

قالتها وقامت من السرير وسحبتني من يدي نحو الجهة الأخرى من الحائط وهي تقول:

"لا تستعجل، رح تعرف كل حاجة في وقتها. أنا ميّته من الجوع، خلينا نروح ناكل دحين، أنا عازماك على مطعم جديد أكيد رح يعجبك!.. بس لازم تغير ملابسك أول!"

مررت أناملها بحركة انسيابية على جزء من الحائط وكأنها تداعب شاشة كمبيوتر لوحي، فانفرج على مصراعيه؛ لقد كان يخفي خلفه خزانة ملابس فيها عشرة أضعاف كمية الملابس التي لبستها في حياتي، مع فارق النوعية طبعاً!

نقرَت بأناملها على طرف الحائط فأضائت الخزانة من الداخل؛ اكتشفت أنها ليست خزانة، وإنما معرض متكامل يضم أرقى الماركات العالمية.. سحبتني من يدي إلى داخل تلك الخزانة وتنقّلَت بين صفوف الملابس المعلقة بمرح:

"هاه تحب تختار بنفسك؟.. ممم وللا أقول لك.. خليني أنا أختار لك أحسن"

أخذتني إلى علاّقة ارتصت عليها قمصان پولو بجميع ألوانها وسحبت القميص الأبيض، ناولتني إياه:

"پولو أبيض.. قميصك المفضل صح؟"

تناولته، تفحصته، بحثت عن شارة المقاس، فقد تكون هذه هي اللحظة التاريخية التي أستطيع أن أحشر فيها نفسي داخل ملابس لا تحمل حرف L دون أن تتمزق إرباً؛ وعندما لم أجدها أسعفتني حماقتي بهذا السؤال:

"هذا مقاسي؟"

قهقهت وهي تقول:

"لا مقاسي أنا! طبعاً مقاسك! كل شي هنا مفصّل على مقاسك بالضبط!"

قالتها وهي تتناول جينز أرماني وجوارب پول سميث وحذاء لوي فيتون.. كلما اختارت شيئاً ازداد اشتعال ذاكرتي، هذه هي ملابسي المفضلة التي ادخرت مكافآتي الجامعية لبضعة أشهر حتى أحصل عليها وقت التخفيضات! توجّهَت إلى إحدى الأدراج وأطل بريق الذهب والبلاتين والألماس عندما فتحته؛ مجموعة مذهلة من الساعات ذات الأسعار الفلكية، تناولَت إحداها وقالت:

"هذي الرولكس ياخت ماستر اللي نفسك فيها صح؟"

فعلاً كيف عرفَت؟ لقد سال لعابي أنهاراً على هذا الشئ الذي حتى لو قررت ادخار كل مكافآتي الجامعية بالإضافة إلى مصادر دخلي الأخرى واكتفيت بتناول الماء وفتات الخبز لعدة سنوات.. فلن أستطيع شراءها! تناولَت معصمي لتلبسني الياخت ماستر!

"شايف كيف تجنن على إيدك؟.. يللا بسرعة.. غيّر باقي ملابسك، يادوب نلحق المطعم!"

يالجرأتها! تريدني أن أغيّر ملابسي أمامها؟ لا يمكن! مستحيل! نظرت إليها باستنكار فقالت:

"إيه؟ مكسوف مني؟ أوكي مو مشكلة.."

قالتها واستدارت للناحية الأخرى كي لا تراني.. ولكن هيهات!

"طيب؟ وبعدين؟ كيف تبغيني أغيّر وإنتِ هنا؟"

"ليه؟ تستحي مني؟"

"لا تحلمي! مستحيل أغيّر ملابسي وانتِ هنا! حتى لو كنتِ أمي!"

ضحكت وخرجت وهي تقول:

"طيب طيب.. بس بسرعة لا تتلكع! حاستناك برّا عند الباب.."

لم ألمس ملابسي حتى تأكدت من أنها خرجت والباب أغلق تماماً؛ اختفت ملامح الصرامة المفتعلة من وجهي في لحظتها، لأفسح المجال لملامح الانبهار مع بعض اللعاب وأنا أستمتع بملابسي وبالياخت ماستر..

"حسام؟ خلّصت؟"

"إياكِ تدخلي!"

يجب أن أغيّر ملابسي بسرعة قبل أن تتهور هذه المجنونة وتدخل عليّ!

"حساااام؟ خلّصت وللا لسّا؟.. أدخل؟"

انزلقتُ داخل الجينز بسرعة وسلاسة لأول مرة في حياتي، لم أضطر لأن أتقافز وأؤدي رقصتي المعتادة: "احشروني-داخل-هذا-الجينز-اللعين"، ليس لدي وقت الآن للاحتفال باختفاء كتل الدهون وأرطال الكوليسترول؛ أغلقتُ أزرار الجينز في اللحظة التي اقتحمت فيها تلك الوقحة الغرفة وأطلّت برأسها:

"هاه خلّصتِ لبسِك يا عروسة وللا تحتاجي مساعـ..
أووه واااو إيه الوسامة دي كلها؟.. ممم بس تعجبني
أكثر لما تشمّر أكمامك.."

قالتها وشمّرَت أكمامي وتعلقت بذراعي كالطفلة، انطفأت أنوار الخزانة وانغلق بابها وكذلك باب الغرفة تلقائياً فور خروجنا، ومشينا في ردهة كريستالية شفافة يسير السحاب بمحاذاتنا أحياناً، ويغمرنا أحياناً أخرى؛ التفّت النباتات من حولنا، وتسلل بعضها إلى الداخل لتفرش أزهارها في أرضية الردهة وعطرها في أجوائها..

"تختار أي لون يا حسام؟"

باغتتني بالسؤال، وجثت على ركبتيها قبل أن أجيبها، التقطت إحدى الأزهار ودسّتها بين خصلات شعرها وبرعمت زهرة أخرى مكان الزهرة المقطوفة وبدأت تتفتح ببطء..

"هاه.. إش رأيك؟ يا ترى البنفسجي لا يق على لون
شعري وملابسي؟ كذا شكلي أحلى صح؟"

في الواقع الزهرة هي التي أزدادت جمالاً ورونقاً وسعادة بحظها الذي أسكنها بين خصلاتها.

تخلّيت عن بعض ثقالة دمي وأنا أهز رأسي موافقاً مع ابتسامة رصينة. وصلنا إلى المصعد الذي كان مصنوعاً من الزجاج هو الآخر، انفتح بابه تلقائياً مع اقترابنا وانغلق بعد دخولنا إليه، لأول مرة في حياتي أرى مصعداً بمقاعد، تحفتان مخمليتان معلقتان على الزجاج، جلسنا عليها فبدأنا رحلة النزول، كان في الواقع أشبه بالسقوط ولكنني لم أشعر بالدوار ولا بالتفاف أمعائي حول نفسها، فقط شعرت برعب طفيف وأنا أرى كل ما حولي تحول إلى خطوط رأسية من خلال الزجاج، والأرض تقترب بسرعة لكنها لم تلبث أن تباطأت عندما وصلنا لبهو ذلك المبنى؛ كان البهو دائرياً تتوسطه نافورة عالية جداً تجلس حولها ثلاث فتيات تعزف كل منهن على آلة موسيقية عجيبة تشاركهن فيها أصوات انسياب المياه، هذه هي الموسيقى التي تسللت إلى غرفتي.

رمقنني الفتيات بابتسامات خجولة وتحمّسن في العزف عندما مررنا بمحاذاتهن، تداعب كل منهن آلتها بشغف وترمقني بطرفها وكأنها تعزف من أجلي أنا فقط. خرجنا من بوابة المبنى الرئيسية فرأيت أمامي فرساً بيضاء، خصلات شعرها ذهبية مضفّرة ومزينة بخرزات ملونة، تكاد تلمس الأرض من طولها.

"هاه.. تحب تسوق أو أسوق أنا؟"

ياللإحراج الشديد! كيف سأسيطر على شئ كهذا؟ سيطرتي وخبرتي لا تتعدى شريكة حياتي: الكامري الرصاصية! يجب أن أتهرب بدبيلوماسية:

"كل هذي التكنولوجيا وفي النهاية نركب حصان؟ توقعتك حتركبيني صاروخ!"

فشلت مناورتي! فقد أحرجتني بضحكتها وهي تقول:

"أولاً لازم تفرّق بين الحصان والفرس، ثانياً من جدك إنت تبغى تركب صاروخ؟ أول مرة في حياتك تخرج مع بنت وتبغاها تركب صاروخ بدل الخيل؟ على العموم إحنا ما نحب نخرب الهدوء في المدينة بالآلات، وبعدين لا تتسرع في الحكم على الفرس صدقني رح تتسّيك الصواريخ"

"الحقيقة آخر مرة ركبت خيل كانت.."

"عارفة عارفة.. لمّا كان أبوك يمشّيك على الكورنيش وانت صغير وتركب مع أختك على الخيل القزم"

تباً لها! كيف عرفَت؟! فتحَتْ الحزام الذي يثبت سرج الفرس وألقت به بعيداً، ثم أمسكت بخصلاتها ووثبَت عليها بمهارة، لم يُعق ثوبها الحريري مرونة حركتها بسبب الفتحة الطويلة في جانبه، مدّت إلي يدها وهي تقول:

"ما أحب السروج!.. يللا ناولني يدك تأخرنا!"

ظهر الخيل يكاد يصل لمستوى ذقني، كيف استطاعت فتاة برقتها أن تقفز عليه بهذه السهولة؟ أمسكت بيدها وقفزت على ظهر الخيل خلفها، كنت في قمة الإحراج والارتباك، ولكنها عندما شدّت خصلات الفرس انطلقت بسرعة أنستني الإحراج وأرعبتني فتشبثت بها بقوة وأغرق شعرها النحاسي الثائر في الهواء وجهي، انطلقنا بمحاذاة المجرى المائي عن يميننا والحدائق عن شمالنا والسماء من فوقنا ترتدي ثوبها الأرجواني المطرز بالذهب.

إن كان هذا حلماً فعقلي الباطن يستحق جائزة الأوسكار بجدارة! عندما أستيقظ سأكافئ نفسي بإجازة لا أفتح فيها عيني، أبقيهما مغمضتين لكي أمنع تبخّر هذا الحلم قدر الإمكان.

ولـكن، هل يُعـقل أن يـكون هـناك حـلم بـكل هذه التفـاصيل وهذا الوضوح؟ وإن كان حلماً جليّاً هل يُعقل أن يكون ملموساً أكثر من الواقع؟ لو لم يكن هذا حلماً فماذا يكون؟ كيف سأعرف أين أنا؟ وما الذي أتى بي إلى هنا؟!

لا أحد يملك الإجابات سواها..

(2)

هُناك.. مع ملاك

بدأت ذكرياتي تتساقط كقطرات مطرٍ خفيف يتردد صداها داخل وعاء عقلي، كل قطرة تغري باقي صديقاتها كي تقفز معها لتنهمر وتروي بعض الخلايا في ذاكرتي.

أنا حسام.. حسام خالد الشريف، والدي متوفي منذ خمس سنوات بسرطان البنكرياس، رحمة اللّه عليه. والدتي عفاف النهدي.. أسأل اللّه أن يمن عليها بطول العمر والعافية؛ أعيش معها ومع أختي الصغرى مرام.. تخرجت من جامعة الملك عبدالعزيز قسم علوم حاسب آلي قبل سنة وسبعة أشهر، وأعمل في وظيفة هامشية في شركة مقاولات. حياتي متواضعة جداً لا تسمح لي سوى بأن أكدح وأحلم دون أن أرى أيّاً من أحلامي تلك يتحقق. والدتي انشطرت بعد وفاة والدي لتقوم بالمهمتين: مهمة الأم والأب معاً؛ تعمل كمدرّسة نهاراً وبائعة معمول مساءً ومربية على مدار الساعة. أما مرام فطفلة أنهت للتو دراستها الثانوية وحملت على كاهلها أحلاماً وهموماً لا تعترف بسنها ولا بأنوثتها ولا بظروفها. كل ما تذكرته لا يمت بأي صلة لهذا الزمان ولا المكان ولا حتى الشخص الذي أحدث نفسي من داخل عقله وجسده!

لم أتذكر سوى الخطوط العريضة في حياتي، ولكنها تقطعت فجأة لأجد نفسي في هذا المكان، قصور وحدائق وأنهار وملكة جمال تخطفني على حصان أبيض، جميع الأحلام التي يمكن أن تخطر ببال أي شخص، تجسدت بحذافيرها هنا..

ولكنني في هذه اللحظة لا أحلم سوى بالعودة إلى أمي وأختي، أريد أن أطمئن عليهم، أريد أن أعود أنا.. حسام القصير البدين الأسمر الذي يشقى في وظيفة متواضعة ليعول أمه وأخته.. ويحلم أحلاماً لا تتحقق!

"من جد ابن آدم عجيب!"

قاطعَت حبل أفكاري وهي تبطئ من سرعة الفرس، وكأنها كانت متربعة داخل دماغي في أثناء حديثي مع نفسي، وواصلَت متجاهلة تعجبي:

"دايماً يجري ورا سراب أحلامه، ولمّا تتحقق ينسى لهفته عليها؛ يطنّشها ويجري ورا غيرها!"

ألجمتني دهشتي من مداخلتها واندهاشي من المناظر التي بدأت أستوعب تفاصيلها عندما تباطأت خطوات الفرس. توغلنا داخل أحياء المدينة، مساكن متناثرة ملبّسة بالزجاج والنباتات والقليل من القرميد والخشب.

تـلك المـباني رفـضت أن تتـطاول عـلى الطبيـعة الرائـعة حـولـها بالرغم من تصميماتها الحديثة، لم تـجرؤ حتى أن تعزل نفسها خــلف أي جدران، وسكّانها يــستمتعون بالجلوس بجــوارها، يتسامرون، يحتسون، يقرأون، يراقبون صغارهم وهم يبلعبون بين أحضان كل ذلك الجمال. كانت الفرس تتبختر بين الممرات وكان الناس يلقون علينا التحية وكأننا ملوك ذلك المكان. هل يُعقل أن تكون جميع هذه التفاصيل مجرد حلم؟ ما أراه هنا أوضح حتى من حـياتي الأصلية!.. انحـرفَت بالفرس إلى ناحـية الـمجرى الـمائي مختـرقة مـمراً من الأشجار المتـشابكة اختـفت خـضرة أورقـها وتجاعـيد جـذوعـها العـملاقة خـلف أزهـارها القرمـزية الكثيفة، قادنا الممر إلى بوابة لجزيرة صغيرة تطفو على سطح الـماء؛ استقبلنا رجل ضخم يرتدي بدلة مخملية بنفسجية داكنة وعليـها معـطف جـلدي بـني طـويل بـلون بـشرته شديدة الـسمرة ومـطرّز بنقوش ذهبية في أطـرافه، تـراخت هيبـته المرعبة عـندما امتزجت بابتسامته الودودة، أخذ بطرف خصلة الفرس المضفّرة وقـادنا بـهدوء عبر خـمس درجات رخامـية بيضاء انتـهت بـمـمر طويل طرقت حوافر الفرس أرضه المصقولة بخطوات بطيئة إلى أن وصلنا لقاعة كبيرة صاخبة فنزلنا عندما توقفت الفرس على عتبات المدخل..

"طاولتكم محجوزة في أميريكانو غريل"

قالها العملاق البشوش وهو يتقدمنا في تلك الساحة التي أشبهها بأسلوبي المتواضع بـ Food Court شاسعة انتشرت على أطرافها المطاعم ذات الخمس نجمات فما فوق؛ تعلّقت هي بذراعي وأشارت إلى مطعم استقر على قمته مجسم عملاق لهامبورغر يدور وعليه قبعة كاوبوي..

"أهه المطعم يا حسام.."

في تلك اللحظة بالذات تذكّرت احتفالاتنا المتواضعة عند استلام المكافأة في بداية الشهر، كنا نصرف جزءاً معتبراً منها في مطعم تشيليز ومن ثم تتدهور خياراتنا الغذائية مع جفاف المكافأة ولا يتبقى لنا سوى خبز التميس المجمّد في نهاية الشهر.

تخطينا الزحام وطابور الانتظار لنجلس على طاولة مميّزة مطلّة على المجرى المائي مباشرة، يبدو أن أهالي هذه المدينة مهووسون بالكريستال، فقد كانت أرضية المطعم شفافة ومرتفعة قليلاً عن سطح الماء، عندما نظرت حولي شعرت بأن الطاولات تسبح فوق الأمواج ومن تحتها أسراب الأسماك وحدائق المرجان.

تناولَت قائمة الطعام ومالت علي بدلال وهي تقول:

"حتلاقي هنا كل شي يعجبك"

فتحتُ القائمة، مع أن الجوع لم يتمكن مني بعد، لكن الصور المجسّمة الحيّة التي تفوح منها روائح الوجبات كانت كفيلة بتفجير غددي اللعابية! برغر.. ستيك.. ناتشوز.. أجنحة الدجاج الجاموسية الملتهبة.. في العادة تقفز عيني مباشرة لخانة الأسعار، وتصاب بالعمى المؤقت تجاه الأطباق التي يتجاوز سعرها حاجز الخمسين ريالاً، ولكن هذه القائمة ازدادت روعةً بخلوّها من الأسعار اللعينة! تقدم إلينا النادل وسألنا بكل لطف:

"Madam, Sir, What would you like to order?"

"تحب أطلب لك ناتشوز وبافالو وينغز وتشيز برغر ويل دن كالعادة؟"

لم أعد أتفاجأ من التفاصيل التي تعرفها عني، تجاهلت جوعي المتفاقم وأنا أمثل دور الشاب اللبق وأسألها:

"إش تحبي تاكلي إنتِ؟"

"تيركي ساندوتش ودايت كوك.."

أجبت على النادل:

"May I have one turkey sandwich, one home made cheese burger with bacon, make it well done please, I would also like to have some nachos, and starter platter"

"What would you like to have for drink?"

"Diet Coke, Lemon Ice Tea, and a bottle of still water please"

بالرغم من أن إنجليزيتي مصابة بالكُساح إلا أنني تحدثت معه بطلاقة وبلهجته الأمريكية القحّة، وكأنني قد ترعرعت في ريف تكساس بدلاً من حي السامر!

ذهب النادل ولم تمض بضع ثوانٍ حتى جاءت الأطباق تقدّمها فتاة ترتدي زي الكاوبوي الأمريكي؛ هجمتُ هجوماً كاسحاً همجياً بربرياً على ذلك البرغر المسكين.. عجزت يداي عن احتوائه من ضخامته فغاصت أصابعي في خبزه اللين الطري الذي ودّع الفرن للتو ففاحت رائحته وامتزجت برائحة اللحم المشوي وأذابت في طريقها شريحة الجبن قبل أن تذيبني.

قضمت قضمة لا تتناسب أبداً مع حجم فمي، رافقتُ أسناني بجميع أحاسيسي في رحلتها عبر طبقات الساندوتش فاكتسحني طوفان النكهات وأشعرني بألم طفيف في أطراف فكي تحت أذني إثر النزيف اللعابي الذي أصابني. لم أمهل جهازي الهضمي ولا التنفسي ولا العصبي ولا حتى اللمفاوي الفرصة لاستيعاب هجوم البرغر، فتناولت رقاقة ناتشوز دافئة واغترفت بها غرفةً من الجبنة الذهبية الملتهبة وزينتها بقليل من حِمم الصلصة ومن ثم أقحمتها دفعة واحدة في فمي الذي لم ينه التعامل مع لقمة التشيزبرغر بعد. راقبَتني بدهشة وأنا أحرك طواحين فمي ولساني يتلوى وسط الزحام بصعوبة وهي لم تلمس وجبتها بعد، توقفَت للحظة عندما لاحظَت طفاستي فانفجرَت ضاحكة..

"بالعافية يا حسام؛ أول مرة أشوفك تاكل بهذي الطريقة!"

استعنت برشفة من الشاي المثلج المنعش كي أنهي المهرجان المشتعل في فمي، وانزلقت اللقمة العملاقة بكل سعادة عبر بلعومي إلى معدتي؛ الآن استعدت القدرة على التنفس والكلام:

"طيب.. وبعدين؟"

"وبعدين إيش؟"

"متى ناوية تفهّميني؟"

"أفهمّك إيش؟"

"تفهّميني إيش اللي بيحصل هنا؟!"

"اللي بيحصل إننا مبسوطين هنا مع بعض، وإنك بتاكل وكأنك عمرك ما شفت الأكل!"

"لا تتهربي من سؤالي.."

"لحظة لحظة.."

قالتها ونادت إحدى النادلات الكاوبويات، وهمست في أذنها فابتسمت الفتاة وتوجهت فوراً نحو المنصّة في منتصف المسرح حيث انهمك أعضاء الفرقة الموسيقية بتركيب آلاتهم وسمّاعاتهم، كانت فرقة من خمسة رجال وسيدتين يرتدون بدلات مخملية أنيقة بنفسجية اللون مع ربطات عنق ذهبية وقبعات كاوبوي. أصغى رئيس الفرقة للفتاة وأومأ برأسه، وبدأوا بعزف الأغاني المفضلة عندي، وكأنهم يحفظون القائمة التي أستمع إليها كل يوم في هاتفي وسيارتي! ولكنهم عزفوها بطريقة أروع من الأصلية بكثير.

في هذه الأثناء تصاعدت شدة تيار الهواء الداخل عبر النافذة وبدأت ألاحظ حركة غريبة في السحاب والأمواج؛ في الواقع نحن الذين تحركنا.. لقد تحركت الجزيرة بأكملها! ارتفعت عن المياه وبدأت تسبح في الهواء ورأيت أنوار المدينة والحدائق والممرات المائية تتضاءل من خلال الكريستال تحت أقدامنا، كانت الأنوار والأبراج تملأ كل نقطة تمكّن بصري من الوصول إليها؛ لكن وبالرغم من دهشتي لم تنجح مراوغتها لتشتيتي عن أسئلتي فكررتها بصرامة أكبر:

"قلت لك لا تحاولي تتهربي مني! أنا في حلم صح؟"

"بذمتك فيه أحد عاقل يتوقع إجابة مقنعة من إنسانة خيالية في أحلامه؟ منت شايف وحاسس وسامع اللي حولينك؟ هذا حلم هذا؟ عمرها كانت الأحلام بهذا الوضوح؟"

"طيب.. أقرصيني لو سمحتِ!"

"نعم؟!"

"أقول لك أقرصيني!"

قلتها بجديّة وعصبية فأطلقت ضحكة قصيرة وتلفتت لتتأكد أن الأنظار ليست موجهة نحونا:

"طيب طيب.. أعصابك! أهه!"

شعرت بأناملها الرقيقة الناعمة في ذراعي، متأكد أنني شعرت بها بالرغم من أنها كانت دغدغة على شكل قرصة؛ هذا لا يكفي!

"اضربيني كف!"

"لا لا إنت فعلاً اتجننت.."

"اضربيني!"

صفعَتني صفعة مدللة فهمست بعصبية وأنا أكتم انفعالي بين أسناني المطبقة:

"اضربيني بقوة! يللا!"

صفعتني صفعة حقيقية هذه المرة! شعرت بوخزات دبابيس صغيرة تتقافز فوق مساحة كفها الذي ترك علامة حمراء مع حرارة بسيطة على خدي، التفت إلينا من حولنا بعد رنين الصفعة ثم تداركوا الإحراج بالتجاهل وتلفيق الابتسامات..

تحسستُ مكان الصفعة بألم، فوضعت كفها على كفي وخدي وكادت دموعها أن تقفز علي وهي تقول:

"حبيبي يقطعني! تعورت؟ معليش سامحني.. والله ما كان قصدي!"

"مستحيل أكون نايم.. ومستحيل أصدق إن هذا كف بنت! فكرتيني بأستاذ عايض!!"

تحول هلعها لضحكة كتمتها بيدها وهي تقول:

"لا يغرّك شكلي.. تراني أعجبك وقت الجد!"

"طب أحلفي إني ماني نايم، أحلفي إني ماني في حلم!"

"وليش ما تكون حياتك الثانيه هي الحلم ودوبك صحيت منه؟ منت شايف الأشياء هنا أوضح وأحلى؟"

"قلت لك لا تتهربي.. أحلفي!"

"والله العظيم إنك بكامل وعيك وإن هذا مو حلم"

"أصلاً حتى لو حلفتِ، إش يضمن لي إنك صادقة؟ إش يضمن لي إنك تعرفي ربنا؟ متحررة.. متبرجة.. عايشة في وسط كل هذا المجون والاختلاط.."

سكتت فجأة، اختفت اللهفة من ملامحها واعتراها حزنٌ غاضب معاتب. فاكتشفت حماقتي الفادحة؛ ليتها تصفعني مئة صفعة وتنسى العبارات المنتنة التي قلتها!

"اللّٰه يسامحك يا حسام!.. يكون في علمك إحنا نعرف ربنا كويس، وما يحتاج أحلف لك.. لو ما بتصدقني إنت حر! ماحد غصبك!"

"زعلتِ مني صح؟"

"المشكلة إني ما أقدر أزعل منك، أولاً لأني عارفه كل الظروف اللي مريت بيها والعقليات اللي خالطتها"

"وثانياً؟"

"وثانياً.. عشان أنا..."

"إنتِ إيش؟"

"ولا شي، مو تقول عندك أسئلة؟ يللا اسألني عن أي شي بس بشرط.."

"اتفضلي اتشرّطي"

"ما حاقدر أجوابك غير بـ (إيوه) أو (لا)، صدقني ما أقدر أعطيك أي تفاصيل، إلا في حالة واحدة"

"إيش؟"

"لو قررت إنك ما ترجع أبداً لماضيك ممكن أكشف لك كل شي! غير كذا ما حاقدر أقول أي شي، كل اللي رح أحاول أسويه إني ألمّح لك بتفاصيل حياتك عشان تتذكر وتعرف إنت كيف جيت هنا وكيف حترجع"

"يعني لو شرحتِ لي كل شي حانحبس هنا؟"

"حتعيش معايا هنا.."

"للأبد؟"

"للأبد!"

"لا لا مستحيل!.. طب حاسألك وجاوبيني بإيوه أو لا.."

أراحت خديها على كفيها ونظرت إلي بعينيها القاتلتين اللتين عكستا الأجواء العسلية المخملية من حولها هذه المرة وقالت بدلال شهرزادي:

"تحت أمرك يا سيدي"

"أنا باحلم؟"

"قلت لك.. لأه!"

ركزّت جرعة دلالها هذه المرّة في كلمة (لأه) فقالتها ببطء وألصقت طرف لسانها في سقف حنكها لوهلة ثم أطلقت سراحه مع همزة وهاء خفيفة.. تجاهلتُ الدوار الذي انتابني من غنجها وواصلتُ الأسئلة:

"يعني أنا صاحي؟"

"إيوه"

"كل شي هنا حقيقي مو مجرد خيال في ذهني؟"

"إيوه كل شي هنا حقيقي"

"إنت جنيّة؟"

"باسم اللّه عليّ! لا طبعاً .. ماني جنيّة"

"أنا في تجربة علميّة نقلتني للمستقبل؟"

لم تتوقف عن الضحك وهي تقول:

"لا لا .. حرام عليك بتقتلني من الضحك!"

"في كوكب تاني؟"

"إنت من جد متأثر بالأفلام اللي طفشتني بيها!"

"أنا ميت صح؟"

"بعيد الشر عنك! ليه تقول كدا؟!"

"يعني.. كل هذا النعيم، ولا تآخذيني.. كمان جمالك.. يستحيل يكون دنيوي!!"

لم أقصد أن أدغدغ مشاعرها، ولكن من الواضح أن كلماتي جعلت تلك المشاعر ترقص طرباً وترسم ابتسامتها وهي تقول:

"يعني معقوله بعد كل المواد الدينية اللي درستها والخطب والمحاضرات متخيل الجنة مكان زي دا؟"

لا لا لا.. هل يعقل أن تعطيني فتاة كهذه درساً دينياً؟ واصلت شيختنا الجليلة حديثها:

"الجنّة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. واللي انت شايفه حولينك أي شخص عادي يقدر يتخيله! الجنة عالم ثاني يا حسام، ما تربطه بالدنيا إلا المسميات فقط..!"

إنها تقتبس من الأحاديث وأقوال ابن عباس!! لم أشأ أن أسألها عن مصادر معلوماتها فقد بلغ بي التوتر مبلغه، يجب أن أعرف أين أنا!

"طب أنا فين قولي لي! أرجوكِ قولي لي!!"

"خلاص أقول؟ قررت تعيش معايا للأبد؟"

"خلاص لا تقولي لي.. حاكتشف بنفسي!"

نسفت بوادر الفرحة التي ظهرت على وجهها بجوابي فاكتساه الإحباط.. كم أنا حقير.. حقير ودنئ ووضيع وصفيق وقليل أدب! كيف أعامل هذا الملاك بكل هذه القسوة؟ قمت من الطاولة فنادتني بقلق:

"فين رايح؟"

لم أجبها، وإنما توجهت إلى قائد الفرقة.. وعدت إليها؛ وقفت عندها وقفة استعراضية وكأن رشدي أباظة قد خرج من أحد أدواره الدونجوانية:

"تسمحي لي بالرقصة دي؟"

بدأت الفرقة تعزف الأغنية التي طلبتها، جحظت عيناها من الدهشة والسعادة وكادت أن تقفز من مقعدها لتتعلق بذراعي، اتجهنا نحو المنصة.. خفتت الأضواء قليلاً والتفت نحونا جميع من في المطعم:

"(كلمات) كتبها نزار قباني، ولحنها إحسان المنذر، وغنتها ماجدة الرومي؛ كنت تسمعها في السيارة وتخبي السي دي تحت المقعد عشان ما يكفشك أبوك.."

ابتسمت وأنا أتأمل عينيها، لا يهمني ما تعرفه عني، لا أريد أن أعكر صفو هذه اللحظة بأي شئ يشغلني عن عينيها، فقط جعلت كفّي وسادة لكفّها، وعانقَت ذراعي خصرها، فأصبح جسمها معلقاً بجسمي، مستسلمة تتوسد كتفي وصدري وأنا أراقصها على كلمات نزار. فشلت محاولات قوامها الفارع وكعبها العالي في مناهزة طولي، ما أجمل هذه السنتيمترات! سحقاً لك أيها القِصر سحقاً!!

"كم طولك؟"

"طولي؟! ١٧٦ سم ليش؟"

"يعني أنا طولي يطلع تقريباً..."

"١٨٩ سم!"

قالتها بمرح، ثم بدأت تغني بانسجام..

"يُسمعني.. حين يُراقصني.. كلماتٍ ليست كالكلمات..
يأخذني من تحت ذراعي.. يزرعني في إحدى الغيمات.."

غنتها بصوتٍ ملائكي أنساني إدماني لماجدة وفيروز وكل صوت أنثوي سمعته في حياتي، كنت أشعر بالإحباط كلما سمعت الأغنية، لأنها تحكي باختصار تفاصيل لحظة يستحيل أن يعيشها شخصٌ مثلي؛ لا يملك مالاً ولا جاهاً ولا جمالاً ولا طولاً.. والأهم من ذلك لا يملك قلب حسناء تبادله أطراف العشق، كنت أعتبرها فانتازياً وهمية أستمع إليها فقط كي أتلف أعصابي؛ وها أنذا أعيشها اليوم بكل حذافيرها، أراقص ملكة جمال الكون، أحملها من تحت ذراعها وهي تغنيها لي.

كنا نرقص مع ألحانها وكانت الموسيقى تعزفنا كما تعزفها، عانقت نظراتها نظراتي، واحتضنت أنفاسَها أنفاسي، ففاضت قطرات من نهر التوپاز في عينيها الواسعتين وتعلقَت على أهدابها النحاسية للحظات قبل أن تغادرها مع دورانها بين ذراعي. ألا يُفترض بتلك الدمعات أن تُذيب بعض مساحيق التجميل حول عينيها كما تفعل عادة ببنات عالمي الذي أتيت منه؟

"على فكرة أنا ماني حاطّة أي ميك أب!"

"ليش؟!"

سألت سؤالي الغبي فنظرت إلي بتوسل وهي تقول:

"مو عاجبك شكلي؟ تحب أحط لك ميك أب؟ إش الشكل اللي يعجبك؟"

ألا تعرف هذه المجنونة أن جمالها يسخر من شركات تصنيع المنتجات التجميلية؟ ألم تستوعب أن حُسنها لا يعترف بمقاييسنا البشرية؟ حاولتُ مداراة سؤالي:

"لا بالعكس، أنا للآن ماني قادر أصدق إنه ممكن يكون فيه في الوجود مخلوقة بجمالك، ما بالك إنه المخلوقة الأسطورية هذي ترقص الآن بين أحضاني؟"

الآن اكتشفت أن حمرة خديها ليس لها علاقة بمساحيق التجميل، فقد نضجت خجلاً أمام عيني وفرّت من نظراتي إلى صدري؛ فسألتها:

"إنتِ تقرأي أفكاري صح؟"

"لا"

"ولكن كيف..."

رفعت رأسها عن صدري وقاطعتني بنظرتها قبل عبارتها:

"تقدر تقول غريزة"

"غريزة؟ حسستيني إنك أمي"

"الحب يا حسام يمزج القلوب والأرواح، يخليها تسابق أحاسيسها، تشوف قبل عيونها، وتسمع قبل آذانها"

ألجمتني كلماتها، عادت إلى صدري وأسدلت جفنيها إلى أن انتهت الأغنية.. توقفت الموسيقى، واستمر رقصنا بدونها، إيقاع قلوبنا كان كافياً. توقف المطعم عن الطفو بهدوء، فرفعت رأسها وقالت بنبرة حزينة:

"وصلنا.."

نظرتُ من النوافذ المفتوحة لأكتشف أن المطعم أصبح بمحاذاة غرفتي التي استيقظت فيها.. أخذت بيدي إلى شرفة المطعم حيث امتد مسار من طرفه إلى طرف شرفتي، نزلتُ من تلك الجزيرة الطافية ولكنها لم تنزل معي..

"ما حتنزلي؟"

"لازم أمشي.. فيه أشياء كثير لازم أجهزها لك"

"طب.. طب ما حاشوفك مرة ثانية؟"

"لو تبغاني ناديني وأنا أجيك على طول.."

قالتها عندما بدأت تلك الجزيرة الطائرة بالابتعاد تدريجياً وهي تقف على طرفها والهواء يلوح لي بثوبها وشعرها، فهتفت كي تسمعني:

"كيف أناديكي؟ إنتِ ما قلتي لي إسمك؟"

"إنت سألتني خمسين سؤال ولا حتى فكرت تسألني عن اسمي.."

سحقاً! كيف لم يخطر ببالي أن أسألها عن اسمها؟ أتتني إجابتها وأنا أجتر حرجي:

"أنا ملاك يا حسام!"

كان صوتها يتضاءل وهي تبتعد على متن ذلك الشئ الطائر إلى أن اختفى في الأفق.. واختفت معه.. ملاك!

(3)

أيقظوني!

لم تشعر خلايا مخي بالإنهاك من قبل كما شعرت به اليوم، كانت تتعرض لضغط رهيب وأنا أعتصر آخر قطرة ذكريات فيها.. بلا فائدة! بحثت بين دهاليزها عن تفسير منطقي لكل ما يحصل لي، وفشلت فشلاً ذريعاً.. لا تزال ذاكرتي مضمحلّةً فيما عدا الأحداث التي عشتها هنا، تذكّرتها بأدق تفاصيلها؛ الذكريات تكون واضحة في المعتاد إذا كانت طازجة ثم تصبح ضبابية وتتبخر مع الزمن، ولكن ذكريات الأحداث التي مرّت بي هنا تختلف، لا أستطيع حتى أن أعتبرها ذكريات من شدّة وضوحها، وكأن ملاك لا تزال تصهرني بين ذراعيها وتغرقني في عينيها. سحقاً لها ما أجملها! استنتجت أنها تعمّدت إنعاش ذاكرتي بشكل غير مباشر! ذكّرتني بملابسي المفضّلة وبالأغاني التي أسمعها والوجبات التي أعشقها؛ يستحيل أن يكون كل ذلك محض صدفة! ولكن لماذا تتهرب من أسئلتي؟ لماذا تدّعي أنها لا تستطيع مواجهتي بالحقيقة؟ هل تنفذ ملاك أوامر شخصٍ ما؟ أو جهة ما؟ من تكونين يا ملاك؟ باللّه عليك من تكونين؟

ها أنذا مرة أخرى في هذه الغرفة الشاسعة الفارغة، سأحاول أن أتأقلم عليها.. أن أستكشفها.. سوف أستخدم حدسي وأناملي؛ انطلقت بجنون في كل زاوية في الغرفة أمرر أناملي وأنقر بأصابعي كما فعلت ملاك، وبعد لحظات تحولت غرفتي إلى عالم آخر تماماً! كنت كلما لمست شيئاً انفتحت أبوابه وظهرت أدراجه وتوهجت إضاءته، باختصار كانت الغرفة مجهّزة بكل ما يخطر ببال. تداخلت القباب الكريستالية في بعضها البعض فانكشف السقف، ارتفعت الستائر وانفتحت جميع الأبواب الزجاجية فأصبحت الشرفة جزءاً من الغرفة، تزحزحت بوابة غرفة الملابس وبجوارها ظهر شئ أستحي أن أسميه "حمّام" لأنه أفخم من أفخم قصر رأيته، ظهرت فتحتان دائريتان في منتصف الغرفة وصعد من الأولى مقعد جلدي أبيض أشبه بمقاعد الليزي بوي أبيض على طرفه طاولة صغيرة، ومن الفتحة الأخرى صعدت ثلاجة اسطوانية شفافة تحوي صفوفاً من المشروبات استطعت أن أميّز من بينها بعض مشروباتي المفضّلة ارتصت أسفلها تشكيلة من الشوكولاتات التي أعشقها بالإضافة إلى المكسرات والموالح، ومن جهتها الأخرى مكينة استنتجت من الروائح التي انبعثت منها أنها مكينة إعداد قهوة وشاي وجميع المشروبات الكفيلة بترويق أشد المزاجات تعكيراً..

باختصار فرع لكافيه متكامل في وسط غرفتي. لم أستطع مقاومة هذه الإغراءات، فمررت أناملي على الشاشة الصغيرة الملحقة بالمكينة واستطعت التعامل معها بسهولة فاخترت كابتشينو مزين بجبل صغيل من الكريمة المرصعة بقطع التوفي، واخترت صورة كعكة سمراء، ضغطتها فبرزت على استحياء، ساخنة تنزف سيلاً من الشوكولاته الذائبة وتتصاعد منها أبخرتها، هبطت عليها برفق كرة آيسكريم مزينة بزهرة فانيلا حقيقية تشبه التي لم أرها في حياتي سوى على أغلفة الكعك وعلب الآيسكريم. تراقصت في ساحات أنفي روائح القهوة والتوفي والشوكلاتة والفانيلا، أخذت ذلك الكارنفال الفوّاح، وجلست على الكرسي الذي تثنّى مع ظهري وهو يغوص فيه وظهرت أسفل قدمي وسادة وثيرة رفعتها برفق فأصبحت شبه مستلقٍ على ذلك الشئ المريح، وبجواري قهوتي وكعكتي؛ برزت من الأرض أربعة أعمدة رفيعة حولي، وقبل أن أفكر في ماهيتها أطلقت أشعة أحاطتني باسطوانة متوهجة، كانت عبارة عن شاشة مجسّمة ثلاثية الأبعاد تحيطني من كل جهة. لو كنت ملياردير اً في الحياة الحقيقية لأنفقت ثروتي لاختراع شئ كهذا!

ظـهرت أمامي صور فهـمت منـها أنـها خـيارات بـين الأفلام والموسيقى والألعاب والكتب، كانت بارزة ومجسّمة أمامي، مددت يدي لصورة الشريط السينمائي فاخترقته وبدأ يتحرك، دفعت يدي في الفراغ فتحركت الصور مستجيبة لتلويح يدي.. إنترنت!!! أحتاج إنترنت لمعرفة ما يدور هنا! يجب أن أتواصل مع أي شخص لطلب النجدة!..

فورما نطقت كلمة إنترنت تحولت الشاشة أمامي، أو بالأصح "حولي" إلى متصفح! نعم سأحلّ اللغز الآن! يجب أن أتذكر بريدي الإلكتروني، أو حسابي في الفيسبوك، أو تويتر.. يجب أن أتذكر كلمات السر.. ما استعدته من ذاكرتي لم يسعفني كثيراً.. فتحت مواقع الصحف والأخبار لأكتشف التاريخ: السبت، الأول من شهر نوفمبر عام ألفين وأربعة عشر، صحيح تذكرت.. هذا تاريخ اليوم! الحمدلله أنا في نفس الزمن على الأقل بحثت عن اسمي في محركات البحث: حسام خالد الشريف.. ووجدتني أخيراً.. وجدت حسابي على تويتر.. نعم هذه صورتي.. صورة بروفايلي.. أتذكرها جيداً.. وجدت آخر تغريدة كتبتها منذ ثماني ساعات: "الليلة يا طلعة سمك، يا تحدّي بلايستيشن.. ياله من اختيار صعب!". كيف يمكنني الدخول لحسابي؟ سأفتح حساباً جديداً..

يـجب ـ في البـداية أن أفـتح حـساب بـريد إليـكتروني، حاولت أن أنـشئ حـساباً ـ في قـووقل، كل شئ يتـوقف عـندما أضغط زر التأكيد! كررت محاولاتي ـ في هوتميل وياهو وجميع مواقع البريد الإلـكتروني بلا فائدة! أعتـقد أنـها مـشفّرة، سـأستغل الإ نترنت بطريـقة مختلـفة إذاً، سأبحث عن طرق الا ستيقاظ من النوم والغيبـوبة، أمـضيت ساعات وأنا منهـمك بـدراسة كل ما يتعـلق بـالنوم والأحلام والغيبـوبة والتنويم المغناطيسـي، والأهـم من ذلك كله كيفية الا ستيقاظ منـها. أفـضل طريـقة للاستيقاظ من حلم مزعج هو أن تنام داخل الحلم حتى تستيقظ ـ في الـواقع! شاهدت عشرات أفلام اليوتيوب، كانت جميعها ثلاثية الأبعاد تدور حولي، كان دماغي يعمل بكل كفاءة وتركيز لم أحلم بهما حتى أثناء أعتى الامتحانات الجامعية، شعرت أنني تحولت لعالِم ميتافيزيقي ـ في ساعات قليلة. ولكنني تلقيت صدمة عنيفة! الوقت لم يتزحزح! بـعد عدة ساعات لم يتغـير شئ ـ في المـواقع، تغـريدتي مازالت متجمدة منذ ثماني ساعات! لم تتم إضافة أي ڤيديو ـ في اليوتيوب ولا أي تحديث أو حتى تعليق ـ في أي موقع!

جميع المواقع لا تزال تظهر الساعة الثانية عشر وثلاثاً وعشرين دقيـقة فـجر الـسبت، الأول من شهر نوفـمبر عام ألفـين وأربـعة عشر، وكأن الزمن قد تحنّط عند تلك اللحظة بالذات!

هذا الإ نترنت وهـمي! عـبارة عن قـاعدة بيـانات غـير متـصلة بالإنترنت، بل تـحوي كل ما ـ في الإ نترنت حتى هذا التـاريخ أو بالأصح حتى تاريخ انتقالي من عالمي إلى هنا! إذاً فرحتي بأنني لا أزال ـ في نفس الـزمن لم تتم! كيف لم أنتبه أننا ـ في عزّ النهار بينـما يـشير الـتوقيت إلى منتـصف الليل؟! إذاً أمـلي هـو أن أنام وأكتشف أن كل هذا مجرد حلم! تركت غوصة المقعد لأغوص ـ في الـسرير، أغمـضت عيـني.. واسترخيت؛ ـ في الـعادة ينـقضّ عـلي الـنوم قـبل أن أناديه، ولكنـني فشلت الـيوم ـ في استدعائة؛ مرّت أكثر من ساعة وأنا مستلقٍ على السرير مغمض عيني، أعصرهما بلا فائدة ! تعبت من التفكير والـمحاولات.. حسنٌ، يكفيـني ما اكتشفته اليوم. بـما أنـني محبوسٌ هنا فسـأستمتع بكل ما حولي إلى أن ينهكني التعب وأحضر النوم رغماً عنه!

تـجولت ـ في جـناحي، اتـكأت عـلى حـافة الـشرفة الـشفافة أتـأمل المدينة، تبدو مكتظة بالحياة أكثر من البارحة، وضوح الأشياء هنا يـكاد يـصيبني بالجنون، كل ما أراه وما أسمعه وأشعر به هـنا واضح وجلي بشكل مربك، ألقيت ببصري على الشاطئ الرملي، يبـعد مئات الأمـتار، ومع ذلك أستطيع رؤية الـناس وتميـيز أشكالهم وسماع ضحكاتهم.. هل يستطيع مخلوق أن يقاوم هذا الشاطئ؟!

توجهت إلى غرفة الملابس التي تحوي قسماً خاصاً بالملابس والأدوات الرياضية التقطت شورتاً بماركة أوكلي التي اعتدت على التغزّل بها واخترت النظارة الشمسية التي تحمل نفس الخطوط النارية التي تزينه وأخذت معها پولو تي شيرت تركوازي اللون ومنشفة ألقيتها على أكتافي ونزلت.. كانت فرقة العازفات لا تزال تعزف في البهو.. ولكنهن كن يعزفن ألحاناً نهارية كلاسيكية مرحة أشعرتني أنني في أحد منتجعات ميامي في الستينات.. لكزَت إحداهن صديقتها لتلتفت إلي.. وفضحتهن ابتسامات الإعجاب وأنا أمر أمامهن وكدن أن يتلعثمن في معزوفتهن عندما بادلتهن الابتسامة؛ أغراني ارتباكهن فاقتربت منهن، وانهارت لا مبالاتهن المصطنعة عندما وقفت أمامهن مباشرة وشبّكت ذراعي وأنا أراقبهن بإعجاب. توقفن عن العزف من شدّة الخجل.. فصفّقت لهن بحرارة، صفقة إعجاب بموهبتهن، وتقدير لجمالهن، وتلطيف لاستحيائهن. نزلت الفتاة التي تجلس في المقدمة من مقعدها الرخامي في قلب النافورة فمددت لها يدي لأساعدها، فتبعتها الأخريان:

"أنا ليان"

خشيت أن أهشّم أيديهن الضئيله عندما صافحتهن:

"هذي أختي لين.. وهذي أصغرنا.. لينا"

"تشرّفنا.. وأنا حسام الشريف"

تبادلن ضحكة خجولة متعجّبة عندما عرّفت بنفسي فبادرتني:

"سيّد حسام، الكل هنا يعرفك"

"هنا؟.. هنا فين؟! المصيبة أنا أصلاً ماني فاهم أي شي هنا إش هذا المكان أصلاً؟!"

"هذا برج الضيافة التابع للمجمّع المركزي في H Universe"

"ما فهمت أي شي! H Universe؟! يعني شعار حرف H اللي في كل مكان يرمز لها؟"

"بالضّبط"

"أنا كنت فاكر إنه أحد فنادق الهيلتون في حقبة ما من حقب المستقبل!"

ضحك البنات بالرغم من أني لم أكن مازحاً، فواصلت أسئلتي:

"طيب كيف أقدر أتنقّل هنا؟ في تكاسي؟!"

"كل شي يخطر على بالك موجود هنا، تحب أجيب لك سيارة؟ يخت؟ طيارة؟"

قالتها وأخذتني بيدي إلى أحد المقاعد في الردهة فجلسنا ومررت بيدها على الطاولة الصغيرة أمامها فظهرت صورة ثلاثية الأبعاد للحرف H:

"يعني لو في سيارة أحسن عشان أسوقها براحتي"

تنقلت بيدها بسرعة فظهرت مجموعة هائلة من السيارات ثلاثية الأبعاد، وكأننا في مرحلة اختيار السيارات في إحدى ألعاب البلايستيشن، وسألتني:

"في سيارة معيّنة في بالك؟"

أجبتها بالعبارة التي أقولها دائماً لموظف استئجار السيارات:

"أي سيارة صغيرة ظريفة وسعرها معقول"

لم تستطع ليان وأخواتها حبس ضحكاتهن، مرّت من بين السيارات المعروضة فاتنة أسالت لعابي فلاحظت ذلك ليان:

"عجبتك الفيراري؟!"

حبست لعابي بصعوبة وأومأت برأسي كفتاة سألها أهلها إن كانت تقبل بالزواج من فتى أحلامها!

"تحب تختار أي لون ثاني؟ وللا عاجبك لونها الأحمر؟"

استمرت إيماءاتي الخرساء البلهاء.. فابتسمت ليان وهي تقول:

"دقيقة وتكون هنا!"

وفعلاً لم تكمل ليان عبارتها حتى ارتفع هدير السيارة ورأيتها تقف بنفسها أمام مدخل المبنى.. تخلّيت عن قواعد اللباقة فتركت ليان وأخواتها دون حتى أن أشكرهن وركضت نحو الفيراري حافي القدمين تكاد منشفتي تسقط عن كتفي.

طبّقت حلم حياتي في تجاهل باب السيارة المكشوفة والقفز على الكرسي مباشرة، وهتفت في سرّي "أرجوكِ سامحيني يا عزيزتي الكامري.. أرجوكِ!" ارتطم كوعي بحافة السيارة ولكنني لم أفسد اللحظة بآلام كوعي وتكهرب ذراعي، فقط لوّحت لليان وأخواتها اللائي وقفن يراقبنني بسعادة من خلف الزجاج؛ عدّلت المرآة أمامي.. ولكن ماهذا؟! أين المقود؟ لا يوجد مقود! ولا حتى دوّاسات!! فقط زر تشغيل وكرة حمراء متوهجة وشاشة مجسّمة أمامي.. ما هذا؟ أريد أن أقود سيارة حقيقية!

امتعضت جداً جداً.. ولكنني سرعان ما تأقلمت على قيادة هذه اللعبة، فتلك الكرة العجيبة تتفاعل بسلاسة مع حركة يدي، أدحرجها يميناً ويساراً للانعطاف وأدفعها للأمام لزيادة السرعة وللخلف للتراجع وأضغط عليها لتخفيف السرعة والتوقف؛ شعرت أن قدمي اليمنى ويدي اليسرى معطلّة تماماً، ليست معتادة على كل هذا الكسل أثناء القيادة. ما أجمل صوت انسياب العجلات على الطريق والرجفة اللذيذة التي تحدثها مربعاته الصخرية؛ لم أتهور، لا أعرف أنظمة وقوانين هذا المكان، فاكتفيت بقانون "يا غريب كون أديب" حتى إشعار آخر. كان الطريق الصخري يشقّ الحديقة التي تفصل البرج عن الشاطئ، وينعطف بمحاذاة الساحل ويمتد عبر مبنىً على شكل قوقعة عملاقة مغطاة بمادة لؤلؤية مصقولة. هذا المبنى عبارة عن مجمّع تجاري متكامل، تباطأت سيارتي وأنا أمر بجوار الفاترينات، لست متأكداً إن كان هؤلاء الواقفون خلفها عبارة عن إسقاطات ثلاثية الأبعاد أم مجسّمات حية متحركة أم أشخاص حقيقيون! فضولي جعلني أدوس على كرة القيادة لا شعورياً فتوقفت الفيراري أمام بوّابة المبنى ونزل الشاب الوسيم المحروم حافي القدمين ليقتحمه!

شعوري الآن يشبه شعوري في المرّة اليتيمة التي زرت فيها دبي عندما جمعت أول راتبين أتقاضاهما في حياتي وسافرت مع أمي ومرام.. الشهقة التي شهقتها ذلك اليوم عندما دخلت دبي مول لأول مرة تساوي تقريباً جزءاً من ألف من الشهقة التي شهقتها اليوم!! تسكعت في ذلك المول لعدة ساعات، مول؟ لا لا إنني أهينه بهذا الوصف.. هذا حتماً شئ آخر! جنّة من التسوّق والمتعة، وليكتمل نعيم هذه الجنّة لم يطلب مني أحد أي نقود! لا نقود، ولا بطاقات ائتمانية ولا صرّافات آلية؛ نسيت الكلمة اللعينة الأكثر اعتصاراً للقلب وتوريماً للقولون: "بكم؟"! فقط ألتقط ما يعجبني فتلفّه لي البائعة وتضعه في الكيس بكل ود وتودعني باسمي.. فعلاً الكل هنا يعرفني!

حتى الأطفال يشيرون إلي ويفلتون أيادي آبائهم ويهرولون نحوي ليلقوا التحية ويلتقطوا معي الصور.. أرجوكم ذكّروني أن أكافئ نفسي وعقلي الباطن على كل هذه الدقّة والإبداع بعد أن أستيقظ من هذا الحلم اللذيذ!

تجوّلت بين محلات السوق وتبضّعت بكل طفاسة ثم عرّجت على ردهة المطاعم وحيّرتني بعض الخيارات قبل أن أعدل بينها وأجربها جميعاً. توجهت إلى قاعات السينيما المجسّمة ودخلت في قلب الفيلم الذي اخترته مع طنجرة الناتشوز وسطل الكاراميل پوپكورن وبرطمان الآيسكريم.. لأول مرة في حياتي تنهكني المتعة ويتعبني الأكل! أستطيع أن أقضي عدة أيام -أو أسابيع- في الاستطلاع والاستمتاع هنا. ولكنني في نفس الوقت لا أريد أن أفوّت متعة السباحة، سأغادر الآن قبل أن يحل الظلام، استوقفني محل للمجوهرات قبل أن أصل للبوابة، دخلت أبحث عن هدايا مناسبة لأمي ومرام، وحتى لو كان كل هذا مجرد حلم، فلطالما حلمت بإسعادهن!

بداهة -وكأي شاب سعودي- أول ما خطر ببالي هو شراء هواتف آيفون لهن، لكن لحسن حظي عثرت على هذا المكان وأنقذتني البائعة التي اقترحت علي مجموعة من الهدايا الرائعة، لم أتردد في أخذها كلها وطلبت منها أن تزيّنها وتضعها في أكياس منفصلة لأمي ومرام، سأحكي لهما عن هذه الهدايا بالتفصيل عندما أستيقظ!

"ما تحب تاخذ أي شي ثاني سيد حسام؟"

قالتها البائعة في اللحظة التي لفتت انتباهي فيها تحفة صغيرة عبارة عن قطعة ألماس لونها يحمل نفحة زهرية على شكل قلب يحتضنه جناحان من الذهب الأبيض. في الحقيقة ذكّرتني بملاك..

"هذي أكثر قطعة مميّزة عندي، ذوقك رائع سيد حسام"

طالما أن كل شئ هنا بالمجان فلم لا أكون فتىً لبقاً وأقدم لها هدية في مقابل دعوتها اللطيفة لي. لن أضيع كيساً من أجل قطعة صغيرة، فألقيتها في جيبي وحمل كل إصبع من أصابع يديّ نصيبه من الأكياس، حشرتها في الفيراري وانطلقت نحو الشاطئ.

كان الشاطئ مكتظاً بالناس، يلعبون يسبحون يسترخون؛ مشيت على الرمال البيضاء، كانت ناعمة جداً كأنها كرات رخامية صغيرة، تغوص أقدامي فيها لكعبي مع كل خطوة؛ فكّرت في أن أتعرف على الناس هنا، أن أسألهم أين أنا، ولكنني خجلت بصراحة، لن أجرؤ على الحديث معهم، وإن يكن حلماً ما يدريني إن كانت العوائل هنا تعتبر الشباب ذئاباً مفترسة كعوائلنا؟

موسيقى فرقة "الحسناوات الخجولات" (هكذا أسميت فرقة ليان وأخواتها) تملأ المكان انضم إليها عزف الأمواج والطيور التي قررت أن تشاركنا السباحة واللعب، رأيت طفلة صغيرة تعلّقت في بالونها وسط المياه وأخذت تطعم الطيور التي تجمعت حولها وعلى كتفها ورأسها، لتضع ضحكاتها اللمسة الأخيرة على الموسيقى الرائعة، من شدّة صفاء المياه كنت أرى ظل الطفلة وظل الطيور بوضوح على قاع البحر.. لولا تكسر تلك الظلال قليلاً بسبب الأمواج واللون الفيروزي الخفيف الذي اكتساها لظننت أنها معلقة في الهواء. لن أعود إلى عالمي قبل أن أحلل كل شئ هنا! سحبت نفساً عميقاً، ركضت نحو المياه المغرية، التقطت قنينة شاي مثلج أزرق من الكشك المنصوب في وسط المياه، فتحتها وأنا أركض، ارتشفت رشفة وصببت الباقي على رأسي، ألقيت بمنشفتي بعيداً، وقفزت قفزة عالية في الهواء، أو بالأحرى "طِرت" قليلاً.. تذكرت في تلك اللحظة بالذات أنني لا أجيد السباحة بدون العوامات!

ولكن لا يهم! كما تعلّمت الرقص في لحظة سأتعلم السباحة مع أول غطسة! غمرتني المياه، شعرت بلسعة برد لطيفة لم تستمر سوى ثوانٍ بسيطة، يا إلهي، المياه ليست مالحة، بل عذبة! وكأنني أسبح في بحر من الإقثيان!

فتحت عيني وكانت الرؤية في غاية الوضوح؛ توغلت لأكتشف جنة أخرى تحت الماء، تعبت عيني من كثرة الألوان؛ والعجيب أن المخلوقات هنا ليست مصابة بالرّهاب القهري كما في عالمنا؛ أمد يدي للأسماك الصغيرة فتتجمع حولها وأشعر بزغزغة قبلاتها في يدي وذراعي. نَفَسي الذي كان لا يسعفني لبضع ثوانٍ أبقاني تحت الماء لبضع دقائق قبل أن تطالب رئتاي بالمزيد من الأكسجين. استلقيت على ظهري وطفوت على سطح الماء؛ لقد ابتعدت كثيراً عن الشاطئ لكن موسيقى فرقة الحسناوات لا تزال واضحة، لمحت في الجهة الأخرى من الشاطئ مجموعة من.. من... شئ يشبه كثيراً الجِت سكي؛ ياله كم كنت أتمنى أن أمتطي هذا الشئ! لم أتجرأ على ركوبه من قبل، فنصف ساعة عليه كفيلة بتدمير ميزانيتي الشهرية! سبحت نحوها؛ إنها لحظة الانتقام من جميع مؤجري الجِت سكي الجشعين المفترين! كانت تطفو على سطح الماء بالعشرات، لم يكن هناك أحد يؤجرها. اخترت أكثرها تماشياً مع ألوان ملابسي، وثبت عليه، وانطلقت. كانت جرأتي وشجاعتي تزداد كلما زادت سرعتي وأنا أنطلق على بساط الكريستال الأزرق، محدثاً موجتين مرتفعتين عن يميني وشمالي، كنت أتجه بسرعة نحو الجهة الأخرى من ذلك الخليج حيث المدينة الهائلة، لكنها أبعد بكثير مما تبدو.

جـربت بـعض الحـركات البهلوانـية التي كـنت أشاهد الـشباب بحـسرة وهم يستعـرضون بـها عـلى الـجِت سكي.. فـحاولت رفع نفسي وأنا منطلق بسرعة هائلة فارتفع معي الجِت وانطلقنا في الـهواء لبـضع ثوان، لأعود للمـياه وأغوص فيـها كالـسهم قـبل أن أطفو مرة أخرى؛ فكّرت للحظة في انتهاء وقود هذا الشئ وأنا في وسط البـحر، لن أجد من ينقذني هـنا، فقررت أن لا أتـمادى في تـهوّري وعدت أدراجي؛ لاحـظت شخـصاً آخر يتـقدم إلي عـلى الـجِت، كان متجـهاً نـحوي بـالـضبط، أعتقد أنه من رجال الأمن يريد أن ينبهني أنني تجاوزت جميع لوائح السلامة؛ كان يزيد من سرعته وهو يتقدم نـحوي. من هذا المجنون؟ سيحطّمنا جميعاً! حاولت الانـحراف بالجِت ولكـنه ارتـطم بي من الجـهة اليمـنى ارتطامة عنيفة فطرت عن الجِت وسقطت في المياه، شعرت بآلام رهيبة في ساقي اليمنى وصدري وحاولت أن أصارع المياه لأعود للسطح وألتقط أنفاسي، ولكـنـي شعـرت بلكمة عنيفة في بطـني وبذراعين قويتين تسحبني نحو الأسفل..

تـمزّ قت رئتي وهي تستنزف آخـر ذرّة أكسـجين بداخلها، بدأت أفـقد وعيي، لم أعد أرى سوى الظلام، وسمعت صوتاً واضحاً يـوبّخني: "دايماً تتأخر يا حسام!" ورأيت وجهها.. رأيت وجه أمي بوضوح وهي تعاتبني!

حاولت أن أصل إليها ولكنني شعرت بذراعين أحاطت بخصري وسحبتني إلى الأعلى بسرعة وسمعت صرخة انطلقت في لحظة وصولنا لسطح الماء:

"حسااام.. حسام! خليك معايا يا حسام! أصحى يا حسام.."

فتحت عيني بتثاقل، شعرت بوخز الأوكسجين وهو يعود إلى شرايين دماغي وبدأت أميز ما حولي، إنها ملاك! تحيطني بذراعها وتسبح بكل قوتها نحو الشاطئ، ألقتني على الرمال وألقت بنفسها جواري لتلتقط أنفاسها، ولم تلبث أن هبت تفحصني، سحبت رأسي على حجرها وأخذت تلطمني بتوتر وهي تقول:

"حسام خليك صاحي يا حسام، لا تقفل عينك.."

"لا تخافي أنا زي الحصان أهه! لكن ماعندي مانع تعملي لي تنفس اصطناعي من باب الاحتياط"

قلتها وأنا أسعل، لم تلتفت لمزحتي، فقط ضمّت رأسي لصدرها وهي تبكي وتقول:

"حرام عليك تسوي فيا كذا! كنت حتموتني من الخوف عليك!"

"ما كنت أدري إنه فيه شي ممكن يضرّني في عالم الأحلام!"

"أحلام؟ برضك تقول أحلام؟!"

قالتها وهي تنزع قميصي وتشقه بطرف أسنانها لتربط به ساقي التي تنزف بغزارة..

"شايف الجرح؟ شايف الدم؟ حاسس بالألم؟ كل هذا حلم؟"

تحسسَت ساقي لتتأكد من عدم وجود كسور وكأنها طبيبة استشارية في العظام، وتحسسَت الكدمة الزرقاء على صدري..

"الحمد لله ما في كسور.."

"عندكم هنا مستشفى؟"

"ما يحتاج، رح تتعافى بسرعة؛ بس خلينا نستريح شوية وبعدها أوصلك.."

استلقت على الرمال واستلقيت جوارها لأتلقى عتابها:

"حسام إش سويت بنفسك؟ إش حصل بالضبط؟"

"تسأليني أنا؟ كنت أحسبك تعرفي كل شي هنا!"

"إش يدريني باللي حصل لك.. أنا حسيت إنك في خطر وجيت على طول!"

"إنتي بتجننيني؟ كيف عرفتِ إني في خطر؟ وكيف عرفتِ إني هنا أصلاً؟ كيف بتعرفي كل شي أفكر فيه؟"

"عادي إش فيها؟"

"كيف عادي؟"

"قلت لك غريزة! تقدر تقول تيليپاثي، ما عمرك سمعت بالتيليپاثي؟ التخاطر؟"

"أسمعي يا ملاك أنا لا أؤمن بهذي التخاريف!"

"هذي ماهي تخاريف، التخاطر موجود عند كل الكائنات، الحيوانات تتخاطب مع بعضها بالتخاطر! مو بس الحيوانات، حتى النملة تعرف تتخاطر!"

"أنا ماني نملة!"

"البشر عندهم أقوى جهاز تخاطر.."

"لو عندي جهاز تخاطر ما كان عديت اختبارات الجامعة بالدّف!"

"عندك لكنك ما بتستخدمه! جهاز التخاطر عند البشر ضعف وضمر لأنهم أهملوه واعتمدوا على وسائل الاتصال المباشرة والمحسوسة"

"يعني إنتِ تحسّي بكل شي أحس بيه؟"

"تقريباً!.. دحين سيبك من كل هذا وقول لي إش اللي حصل؟"

"واحد مجنون صدمني بالجِت.."

"مستحيل! مو معقول! فاكر شكله؟"

"ما انتبهت! إنتِ لو تفهّميني بس أنا فين عشان نعرف إش اللي حصل!"

"ما أقدر!"

"طب حاسألك وإنتِ جاوبي بإيوه أو لا.."

"تفضل يا سيدي.."

"أنا بدأت أتأكد إني في تجربة دماغية، يعني مخدّر أو في غيبوبة.. وإنه كل اللي باشوفه عبارة عن برنامج افتراضي واقعي وأنا عايش فيه ودماغي مقتنع إنه حقيقي!"

"هههههه قلت لك إنك متأثر بالأفلام!"

"إش قصدك؟"

"ماتريكس، إنسيبشن، ذي سل، ڤانيلا سكاي، توتال ريكول.. فكرة مستهلكة شفتها في خمسين فيلم!"

"هذا التفسير المنطقي الوحيد للي بيحصل هنا، كل شي هنا زي الحلم.. زي السحر!"

"زي السحر؟"

"إيوه سحر! كل شي مثالي، كل شي يستجيب للمساتي ويقرأ أفكاري.."

"باسألك سؤال: تخيل إنك تاخذ تلفونك أو كمبيوترك وتوريه لجد جدك.. تخيّل يشوف الأفلام ويعمل تشات مرئي ويتفرج على اللي بيحصل في الدنيا في جهاز قد الكف.. إش حيقول؟"

"سحر!"

"زيّك بالضبط..! لو استمرت الثورة التكنولوجية في عالمك بنفس الإيقاع رح تشوف كل الأجهزة اللي بتقول عنها سحر في كل بيت، في غضون عشرة أو عشرين سنة بالكثير!"

"يعني أنا في المستقبل صح؟"

"لأ!"

ثرت فيها هذه المرة.. لم أعد أحتمل! اعتدلت في جلستي وأمسكت بتلابيبها وهززتها بقوة وأنا أصرخ:

"أجل أنا فين؟ قولي لي!! أنا فين؟"

رأيت نظرة رعب في عينيها الواسعتي فازداد انعكاس السماء والبحر عليهما:

"خلاص حاقول لك على كل شي!"

قالتها وهي تتلفت وكأنها تخشى أن يرانا أو يسمعنا أحد..

"هذا اللي انت شايفه عبارة عن جزء من تجربة علمية سرّية!"

"تجربة سرّية؟!"

"أنا اسمي نتاشا.. نتاشا تورغينوف.. عميلة روسية من أصول جورجية في منظمة Международной Научной Разведки العلمية! التقنيات هنا ما تخطر ببالك، إنت موجود عندنا من سنة كاملة! سوّينا لك مجموعة عمليات تجميلية مع تحوير جذعي وجيني.. أنجح عملية تحوير جيني كاملة للآن!"

هبط علي الخبر كالصاعقة، كان لابد أن أستنتج أنني فعلاً داخل تجربة علمية! لا بد أن أستنتج أن مخلوقة كهذه لا بد وأن تكون نتاج عمليات تجميلية وتطويرات جينية وتدريبات استخباراتية!!

واصلت ملاك.. أقصد نتاشا تورغينوف:

"أنا المكلّفة بملفك، طبعاً التدريبات بدأت من عدة سنوات كان لازم أدرس حالتك وتاريخك وكل ما يتعلق بك، لدرجة إني اتعلمت لغتك ولهجتك وكل تفاصيل حياتك! لازم نراقبك وانت عايش في بيئة مثالية عشان نقدر ندرس كل التطورات الجسمانية والذهنية اللي طرأت عليك بعد العملية. مستحيل يسمحوا لك تخرج وتخرب التجربة.."

"مو معقول، مستحيل أصدق! ليش أنا بالذات؟!"

"ومين قال إن البرنامج لك إنت بالذات، إنت حاله من مئة وأربعين حالة تم اختيارها من مختلف بلدان الأرض، كل حالة نستضيفها هنا فترة معينة طبعاً بعد ما نعدّل بعض الأ شياء في هذا العالم الا صطناعي وندرب السكّان هنا، أو بالأصح العملاء على التعامل مع كل حالة على حدة!"

"يعني أنا فار تجارب؟ حياتي تغيّرت للأبد؟!!"

"لا.. هذي كمان مخاطرة بالنسبة لهم، بعد انتهاء التجربة رح يعملوا لك عملية تحوير جيني عكسية، ويرجّعوك ويقنعوك ويقنعوا الناس إنك تعرضت لحادث وفقدت ذاكرتك لفترة إلين ما لقيوك قوات الأمن في قرية وتعرّفوا عليك ورجّعوك لأهلك.. طبعاً الحادث رح يكون مبرر للتغييرات اللي بتبقى بعد العمليات، بس اطمئن رح تنسى كل شي شفته هنا، واللي حتتذكره رح يكون زي الحلم.."

"وبعدين؟"

"وتوته توته وخلصت الحدوته!"

قالتها واختفت ملامح الجديّة المصطنعة من وجهها لتحل محلها ضحكة طفولية مجلجلة خرجت من أعماقها واستلقت على الرمال وهي تواصل الضحك؛ تمنّيت أن أصفعها بشدّة على خدودها الدرّاقية.. تمنيّت أن ألكمها وأحطّم بعض أسنانها اللؤلؤية! ولكنني لم أتهور.. فقط وقفت بصعوبة على ساق واحدة، وثنيت ساقي الأخرى التي لا تزال تنزف، وتركت ملاك؛ وقفَت فوراً لتلحق بي وأخذت ذراعي حول كتفها وأحاطت خصري بذراعها لتساعدني على المشي..

"حسام بلا بياخة.. لا تكون زعولي!"

"لو كنتي مكاني كان حسّيتي باللي أنا فيه!"

"والله إني حاسه بيك.. وقلبي يتقطع عليك! والله إني باسوي كل شي أقدر عليه عشانك!"

قاطعتها معترضاً:

"حاسّه بي؟ مستحيل!! أنا حياتي اختفت وماني قادر أرجع لها، أبغى أحقق أحلا مي، أسعد أمي وأختي وأنجح في وظيفتي، إبغى أتزوج وأفتح بيت وأخلّف عيال!"

داست عبارتي الأخيرة على قلبها بقسوة، فتجاهلت كبرياءها وهي تقول:

"يعني ما تمنّيت حتى إني أرجع معاك؟ وأصير جزء من حياتك؟!"

استمرّت قسوتي الجارحة وأنا أقول:

"تعيشي معي؟ قصدك أتزوجك؟ مستحيل! ما اختفلنا على جمالك لكني ما أعرف عنك أي شي.. ما أعرف أصلك ولا فصلك ولا عايلتك.. ولا حتى ديانتك ومذهبك!"

كانت عباراتي أشد إيلاماً وامتهاناً من الصفعات، تبّاً لي! كيف سألطف رعونتي؟ أتمنى أن لا تكون هديتها سقطت من جيبي؛ لحسن الحظ لا تزال هنا:

"تفضلي"

التفتت بوجهها التي أشاحته قبل قليل وافتضحت دمعتها، ولكن الدمعة تبخّرت بابتسامتها عندما رأت العلبة الزهرية الصغيرة:

"حساام"

التقطت العلبة وفتحت شريطتها الفضية المخملية المبتلة بلهفة وكادت أن تفقد الوعي عندما رأت هديّتي البسيطة، ألجمتها سعادتها، فتناولت العقد الصغير من يدها، وتقافزت على قدمي السليمة لألتف حول ظهرها فرفعت هي شعرها من الخلف لتكشف عن جيدها؛ أتمنى أن لا ينزلق القفل الزنبركي من بين أظافر سبابتي وإبهامي مئة مرة كما يفعل كلما حاولت أن أساعد مرام في ارتداء طقمها الوحيد؛ سحقاً كل هذا التطوّر هنا ولم يخترعوا قفلاً سهل التركيب.. آه نجحت أخيراً!

"أتمنى يعجبك!"

التفتت إلي ملاك وهي ممسكة بجناحي الألماسة بين أناملها بمحاذاة نحرها وسعادتها تفيض عليها فتزيدها بريقاً زهرياً خجِلاً من جمالها. فاجأتني ملاك بمعانقتي وطبع قبلة صاهرة على خدي؛ صدمةٌ لم يحتملها قلبي ولا ساقي الوحيدة التي تركزني، فاختل توازني ووقعت.. وقعنا سوياً قبل أن تنهي قبلتها.. رفعت رأسها ونظرت إلى عيني مباشرة:

"هذي أحلا لحظة في حياتي، ربي ما يحرمني منك يا حسام!!"

تلك الوضعية أمام الملأ أيقظت بداخلي الحس المتحفّظ فأزحتها بلطف، فوقفَت وساعدتني على النهوض واحتضنتني بحب لتركزني أثناء المشي، فقلت بلامبالاة مصطنعة:

"يعني، حاجة بسيطة كذا، تقدري تعتبريه عربون امتنان على عزومتك اللطيفة، على فكرة هذي ألماس أصلي! مو فالصو، ولونها نادر جداً"

أود أن أسألكم سؤالاً، وأرجوكم أرجوكم أجيبوني بصراحة: هل رأيتم أو سمعتم في حياتكم عن شخص أكثر صفاقة وبجاحة وتخثراً في الدم مني؟؟!! الحمدلله أنها استحملتني:

"حسام، هذي أول هدية تجيني في حياتي!، ما يهمني تكون من ألماس أو حتى من قزاز.. المهم إنها منك إنت يا حسام"

هل أصدّقها؟ يستحيل أن أصدّق أنني أملك أي شئ يجعل إنسانة عادية تحبّني ناهيكم عن هذا الملاك!.. قطعت حبل أفكاري عندما قالت:

"لكن هذا ما يمنع إني زعلانه منك!! وعلى فكرة.. أنا ما عملت ولا عملية تجميل.. كلّه خلقة ربنا! أتمنى ما يكون في شكلي شي مو عاجبك!!"

سحقاً.. يجب أن أنتبه حتى أثناء حديثي مع نفسي، فهذه المجنونة تستمع إلى خواطري، أظنها تعرف ما أفكر فيه الآن.. سحقاً سحقاً!!

"حسام أرجوك لا تشغل نفسك بشي دحين، أحسن شي إنك تساير الأمور وكل شي رح ينحل بإذن اللّه!"

"على قولك، متأكد إني رح أتذكر كل حاجة، وأعرف أنا فين وكيف أرجع لأهلي!"

"وأنا رح أساعدك! صدقني.."

"وأعرّفك عليهم"

أخجلها تلميحي جداً، كنا قد وصلنا للفيراري، فأزاحت بعض الأكياس لتجلسني بجوارها وتقود هي السيارة؛ كانت معظم آلامي قد تلاشت والتألمت جروحي عندما وصلنا لمدخل البرج:

"حسام.. لو احتجت أي شي قول لي.."

"أحتاج قلم.. قلم ودفتر عشان أكتب كل حاجة تحصل هنا!"

"يعني اشتريت نص المول وما عرفت تشتري قلم؟! ولا يهمك رح أجيب لك جهاز يغنيك عن كل شي.."

"فكرة القلم خطرت ببالي الآن، أبغى قلم.. قلم عادي ودفتر؛ ما حاقدر أثق في أي جهاز هنا.."

"ماشي زي ما تبغى، أي أوامر أخرى يا حسام باشا؟"

"لا تزعلي مني.. اللّه يخلّيكي يا ملاك لا تزعلي مني"

تهللت ابتسامتها لعبارتي فلم تجبني.. وإنما اكتفت بتناول يدي ولم ترفع عينيها وهي تقول:

"أنا لو علي أفديك بروحي يا حسام.."

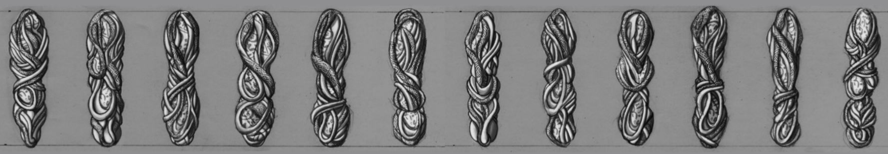
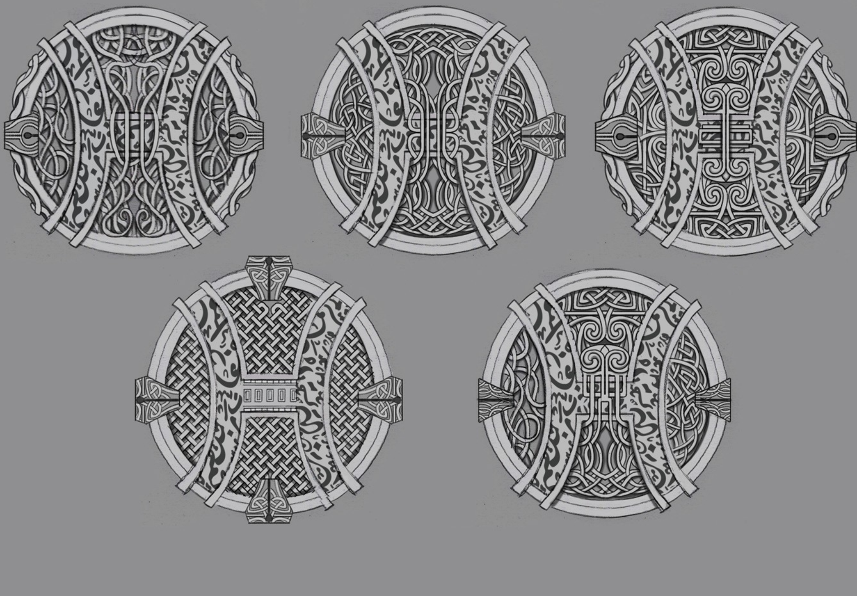
تأملتها.. يستحيل أن يكون فيضان مشاعرها مجرد تمثيلية، يستحيل أن يكون كل هذا مجرد وهم! أعترف أنني أثق فيكِ يا ملاك.. أعدك أن أطبّق ما طلبتِه مني وأن أساير كل شئ إلى أن أعرف أين أنا.. وأعود لأهلي.. أو أيأس.. وأعيش بقية عمري معك.. هنا!

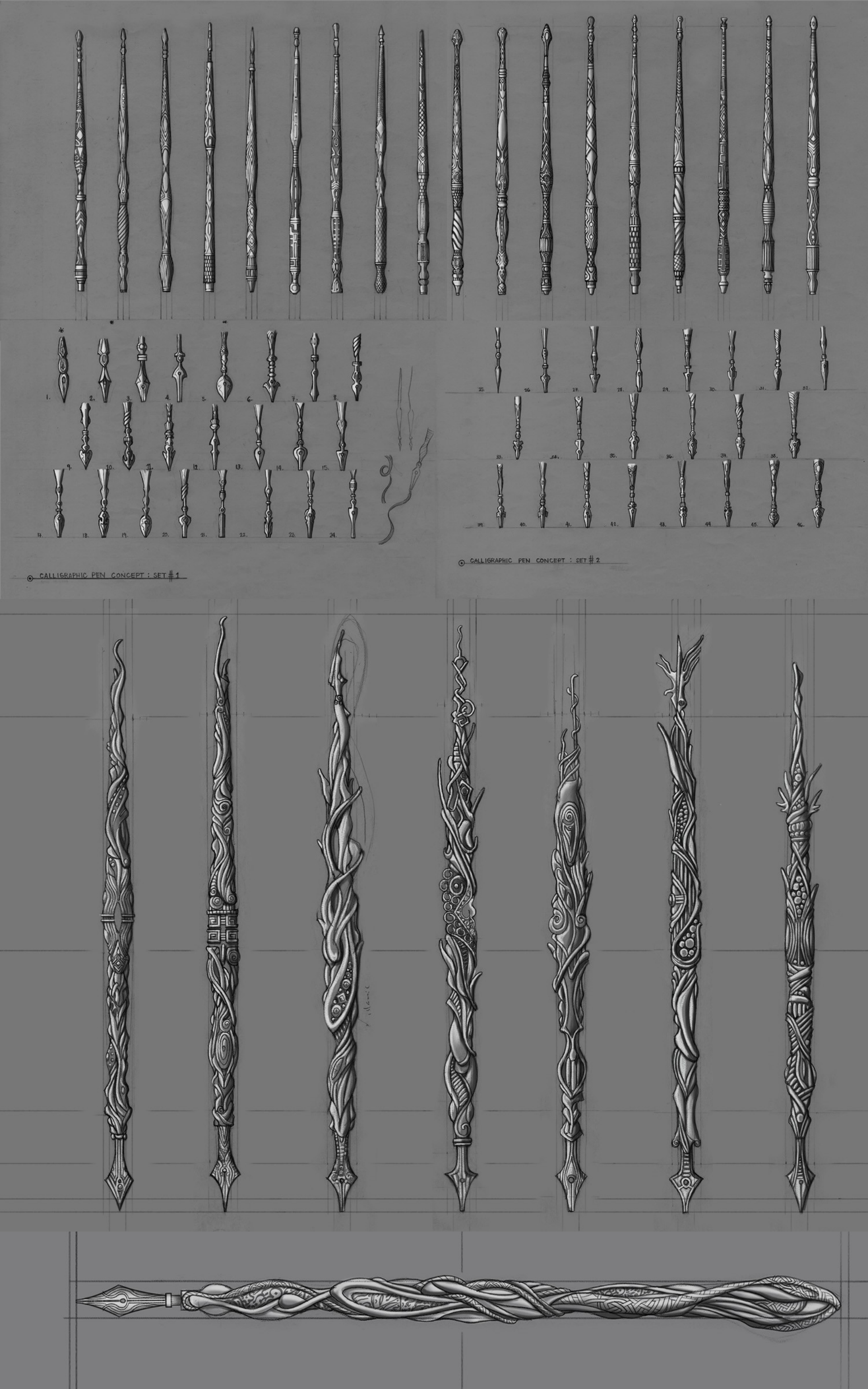
أعترف أنني مهووس جداً بالتفاصيل والتصاميم؛ هَوَسٌ أسميه مجازاً "شغف" لإضفاء بعض الرونق، لكنه في الحقيقة هوس وجنون متحدرٌ متدحرجٌ نحو.. لا أعلم نحو ماذا بالضبط، لو كنت أعلم لما توصلت إلى القناعة التامة بأنه جنون محض، الشئ الوحيد الذي أعلمه جيداً هو أنه شديد العدوى! وأنه قد استشرى بسرعة بين أفراد أسرتي الإبداعية الذين اقتحموا أحلامي وساعدوني في انتزاعها وإلقائها في أحضان الكلمات وبين الصفحات وعلى الشاشات! أنا وحوجن وسوسن وإياد وجمارى وبنيامين وإليانا وكل من ظهر في أعمالنا وكل من استمتع بها.. نحن مدينون جداً لرونالدو ماكاباقال أستاذي وقدوتي في الفنون، ولابنه كريس رون العبقري الذي جسد جميع التصاميم التي ترونها أمامكم، وللعم محمد الجمال، الخطاط الذي يحترف مغازلة الحروف والرقص بين تشاكيلها، ولأخي علي نعيم مجنون المونتاج الذي سقط من هوليوود سهواً. نحن جميعاً مهووسون بإسعادكم، وما ترونه هنا ليس إلا عينّة مقتضبة من كواليس جنوننا!

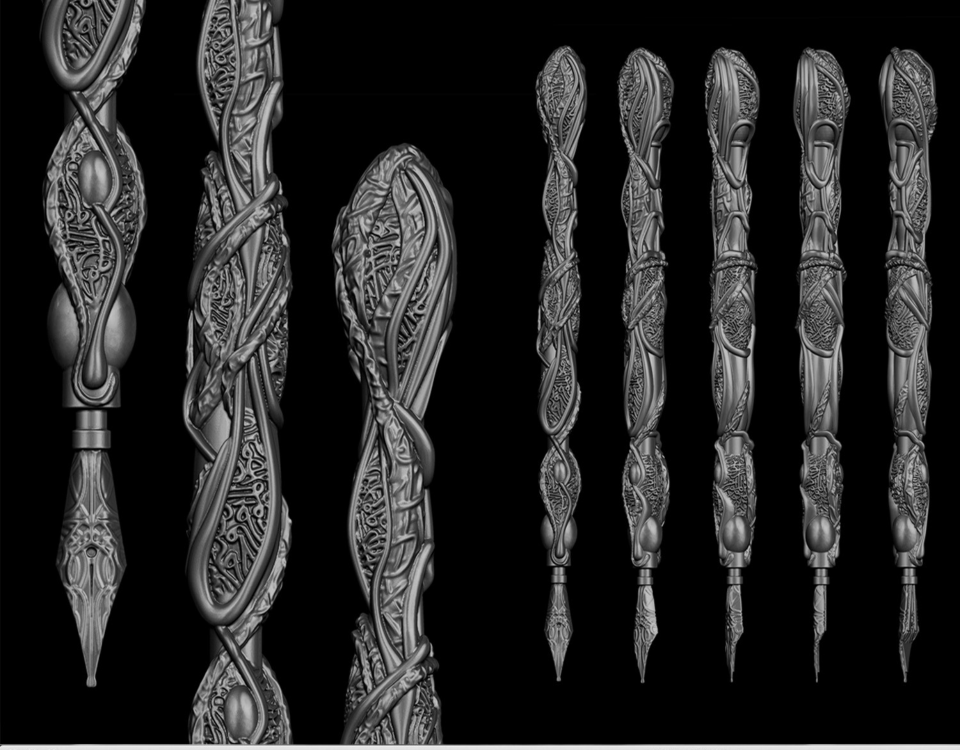


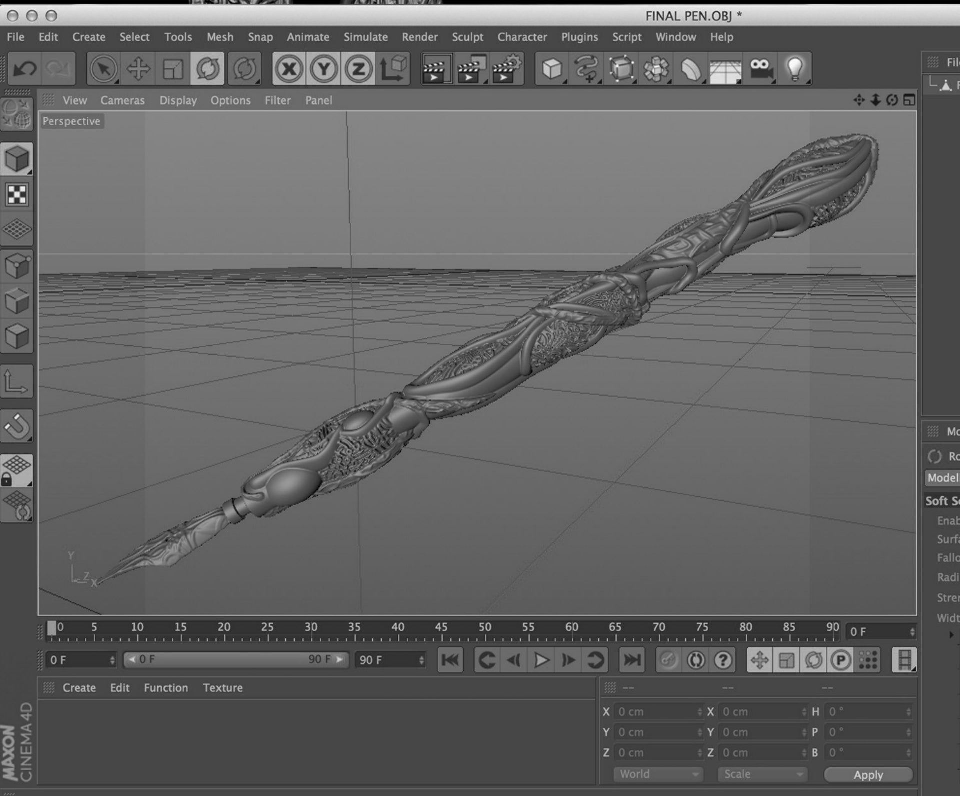


ALPHA.
PHOENICIAN
ANCIENT
ALPHA
EGYPTIAN ALPHABET
OK
H
HYROGLIFICS
ANCIENT LATIN
PHOENICIAN
ANCIENT GREEK ALPHA
HBW
RUNES

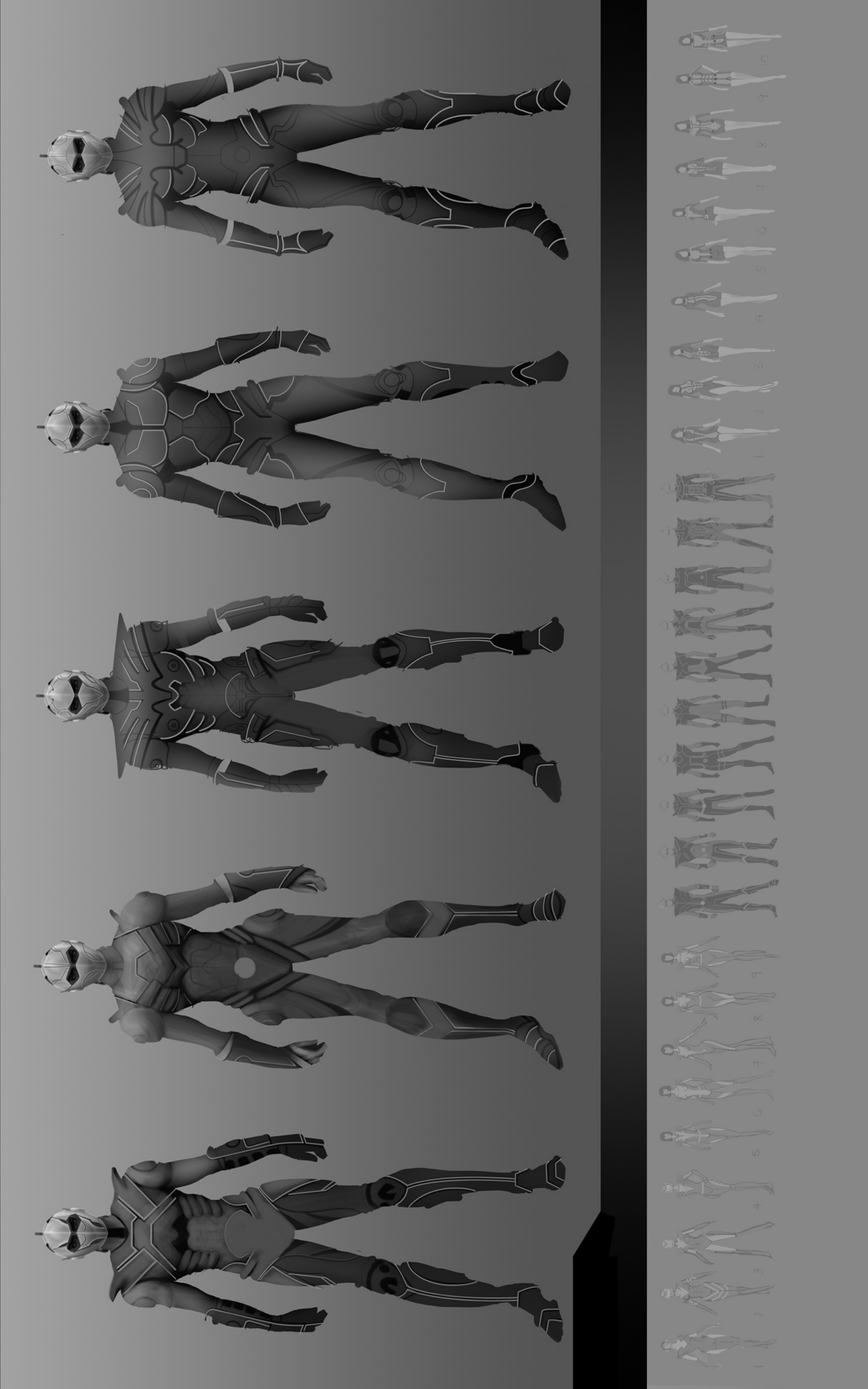




CALLIGRAPHIC PEN CONCEPT : SET #1
CALLIGRAPHIC PEN CONCEPT : SET #2




FINAL PEN.OBJ *
File Edit Create Select Tools Mesh Snap Animate Simulate Render Sculpt Character Plugins Script Window Help
View Cameras Display Options Filter Panel
Perspective
0 5 10 15 20 25 30 35 40 45 50 55 60 65 70 75 80 85 90
0 F
0 F
0 F
90 F
90 F
Create Edit Function Texture
X 0 cm
Y 0 cm
Z 0 cm
X 0 cm
Y 0 cm
Z 0 cm
H 0 °
P 0 °
B 0 °
World
Scale
Apply
Model
MAXON CINEMA 4D


الموت ليس فراقًا
ولكن الفراق هو الموت



من الجزء الثالث في سلسلة حوجن وهُناك، رواية:

בנימין

بنيامين

انطلقت طائرة Stealth Bomber فوق مياه البحر الأحمر تزفها طائرتا F-35 Lightning التي لم تمتلكها سوى دويلة واحدة في الشرق الأوسط عبر صفقة حصرية تمّت مع الولايات المتحدة الأمريكية قبل عامين، في نهايات ٢٠١٦م بالتحديد، التزمت فيه أمريكا بعدم بيع تلك الطائرة لأي دولة شرق أوسطية أخرى لمدة عشر سنوات، ولم تلتزم تلك الدويلة بشرط الصفقة الأهم في عدم إجراء أي تعديلات على الطائرة. انطلق الأسطول الصغير، لم تقتصر قيمته على سعر الطائرات الذي يتجاوز ثلاثة مليارات دولار، فقد كان يحمل ما هو أهم وأثمن بكثير، كان يحمل شخصين.. حسام، وإياد! طائرة الـ Stealth Bomber التي تحمل في العادة أطنان المتفجرات والرؤوس النووية اكتفت هذه المرة بكبسولتين معدنيتين مزودتين بمحركات نفاثة محدودة من الأسفل، ومن الأعلى بقبة زجاجية، اكتظت بالأجهزة والمجسات التي اتصلت بجسدي حسام وإياد، كان الاثنان في حالة يرثى لها، وأعني الرثاء هنا حرفياً، فحسام كان غارقاً في دمائه، يلتقط أنفاسه بصعوبة وحِرص خوفاً من نفاد الأكسجين والاختناق في تلك الكبسولة الضيقة. أما إياد فقد كان غائباً عن وعيه، وقد حمل جسده كماً لا بأس به من الكسور والحروق.. كان باختصار في حالة نزاع!

"صباح الخير سيد حسام وسيد إياد"

انطلقت تلك العبارات في السماعات المثبتة في الكبسولتين بلغة عربية متأثرة بلكنة لغة شرق أوسطية أخرى، فانتفض جسد حسام وهو يصغي باهتمام حيث واصل صاحب الصوت بهدوء مستفز:

"هذه هي المرحلة الأخيرة من تجاربنا، ستنتطلق الكبسولات بعد ثلاثين ثانية نحو أعماق البحر، كمية الأكسجين تكفي لمدة ١٢٠ ثانية، فرصة بقاء حسام على قيد الحياة ٣٢،٤٪ وفرصة بقاء إياد على قيد الحياة ٧،٣٪ فرصة نجاتكما معاً ٢،٤٪"

في هذه اللحظة لم يأبه حسام بالأكسجين الشحيح في الكبسولة التي سجنوه فيها وصرخ بلغة ذلك الشخص:

"بنيامين!! توقف!!"

واصل بنيامين بنفس الهدوء والنبرة الآلية.. وبلغته هذه المرة:

"كنت أتمنى فعلاً أن نجد الكتاب سوية، تشرفت بالعمل معكما، تأكدا أن حياتكما لم تذهب عبثاً.. وداعاً"

صرخ حسام صرخة أخيرة يائسة:

"بنياميييييين!!"

لم تهتز خلية في كيانه وهو يجلس بجسده النحيل بجوار قائد الـ Stealth Bomber يراقب الشاشات الملتفة حوله دون أن يأبه بتثبيت أحزمة الأمان ولا الخوذة الواقية ولا قناع الأوكسجين، فقط اكتفى بالسماعة المثبتة على إحدى أذنيه والتي تنتهي بمايكروفون دقيق، بالإضافة إلى نظارته الداكنة التي لا يكاد ينزعها عن وجهه والتي تصدر صوت أزيز خافت كلما حرّك رأسه، وقميصه الأسود الذي شمّر أكمامه بإهمال. كانت الشاشات تنقل تفاصيل المؤشرات الحيوية لحسام وإياد، بالإضافة إلى ما تصوره الكاميرات عالية الدقة المثبتة داخل وخارج كبسولتيهما. وعلى إحدى تلك الشاشات ظهرت فتاة عشيرينية ملامحها تنم على أن حامضها النووي في صراع ما بين الجينات القوقازية والإفريقية، بشرتها تمردت على سمرتها، فلم تحتفظ إلا بالقليل منها، شتفاها مكتنزتان، عيناها واسعتان بنفس لون شعرها الكستنائي الثائر، ترتدي زياً عسكرياً متكاملاً لا يتناسب أبداً مع أنوثتها ولا مع سنّها؛ وعلى عكس بنيامين كانت إليانا في قمة التوتر وهي تقول:

"في انتظار أوامرك سيد بنيامين.."

"المهمة انتهت.. سنطلق الكبسولات!"

تحجرت دموعها.. كأنها تستجدي بنيامين لكي يغير قراره؛ ولكن بنيامين حسم كل شئ وهو يقول بلهجة آمرة أكثر صرامة:

"أطلقيها الآن!"

"حالاً.. سيد بنيامين"

التفتت إليانا نحو لوحة التحكم المركزية، وأصدرت أمر الإطلاق عن بعد فانفتحت البوابة الخلفية للطائرة، وتوهجت المحركات المثبتة في الكبسولات قليلاً قبل أن تنطلق مندفعة نحو أعماق البحر الأحمر في خليج العقبة بالتحديد، حاملة معها حسام وإياد. في هذه اللحظة فقط أزاح بنيامين وجهه عن الشاشات، ورفع نظارته الداكنة ليمسح دمعة وحيدة قبل أن تفر من عينه، لم يكن يتخيل أن هناك من يستطيع التدخل لإنقاذهما، ليس من عالمنا على الأقل.